

ابتكار الموضوعات البحثية دراسة تطبيقية على علوم السنة النبوية

ماجد بن محمد الجهني

طالب بمرحلة الدكتوراه/كلية دراسات القرآن والسنة

جامعة العلوم الإسلامية بماليزيا

ملخص البحث

من أهم الموضوعات التي تؤرق الباحثين بشتى تخصصاتهم وبجميع مستوياتهم مشكلة ابتكار الموضوعات البحثية، ويعتقد البعض أن هذه المشكلة خاصة بالطلاب في مراحلهم الأولى في الدراسات العليا دون كبار الباحثين، وهو اعتقاد خاطئ؛ فكل باحث صَغُرَ أو كَبُرَ هو في صراع دائم وبحث دؤوب عن فكرة بحثية، إلا أن الفرق بينهما هو أن الباحث المتمرس هو في الغالب يمتلك الأدوات والمهارات اللازمة للوصول إلى الفكرة البحثية الجيدة، بعكس الآخر. وقد ناقش هذا البحث هذه المشكلة ووضع مجموعة من الحلول والمقترحات، ومن أهمها: ضرورة تقديم مثل هذه المواد العلمية للباحثين في شكل دورات وحقائب تدريبية محكمة وتقديمها بالأسلوب العصري المناسب لكل زمان ومكان.

مقدمة

الحمد لله الذي أوجدنا من العدم، وأمدنا بالنعم، وعلم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على البشير النذير، والسراج المنير، محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه، ومن استنَّ بسنته واهتدى بمجده.

أما بعد:

فمن أهم الموضوعات التي تؤرق الباحثين بشتى تخصصاتهم، وبجميع مستوياتهم؛ مشكلة ابتكار الموضوعات البحثية، ويعتقد البعض أن هذه المشكلة خاصة بالطلاب في مراحلهم الأولى في الدراسات العليا دون كبار الباحثين، وهو اعتقاد خاطئ، فكل باحث صَغُر أو كَبُر هو في تفكير دائم وبحث دؤوب عن فكرة بحثية، إلا أن الفرق بينهما هو أن الباحث المتمرس هو في الغالب يمتلك الأدوات والمهارات اللازمة للوصول إلى الفكرة البحثية الجيدة، بعكس الآخر؛ لذا تجد أن كثيرًا من الطلاب دائماً ما يسأل: أريد موضوعاً بحثياً لرسالة الماجستير أو الدكتوراه، فهذا تحكم عليه مباشرة بعدم خبرته وضرورة أن يطور نفسه ليمتلك أدوات البحث والابتكار؛ ولذا يُنصح أمثال هؤلاء بالاعتماد على النفس والبحث الجاد، واقتراح عدة موضوعات، واستشارة أهل التخصص، فهناك فرق بين من يطلب منك عنواناً جاهزاً للكتابة فيه، وبين من يطرح بين يديك عدة موضوعات ويستفتيك فيها؛ لذا نحن نحاول من خلال هذه المادة توجيه الباحث للوسائل والطرق المعينة على ابتكار الموضوعات البحثية.

ونزعم أن دراسة هذه الأدوات والمهارات ستحقق هدفين رئيسين:

الأول: فائدة تعود على الباحث نفسه

حيث يتوقع بعد فهم الجزء النظري من هذه المادة مع التطبيق العملي أن يمتلك الباحث الأدوات اللازمة والتي تعينه - بمشيئة الله - على ابتكار الموضوعات البحثية دون الحاجة لسؤال أهل الاختصاص إلا من جهة المراجعة والاستشارة.

والثاني: فائدة تعود على التخصص

وذلك من خلال إثراء التخصص بإخراج أبحاث علمية مبتكرة وغير تقليدية. لذلك جاءت فكرة هذه المادة العلمية، والتي نأمل أن تكون معينة للباحثين على وجه العموم، ولطلاب الحديث على وجه الخصوص في امتلاك المهارات اللازمة لابتكار الموضوعات البحثية.

وفي حدود علمي؛ لم أجد من ألف كتابًا أو نشر مقالًا محكمًا في هذا الموضوع، فكل من ألف ونشر إنما قصد دراسة صلاحية الموضوع بعد اختياره، وأما الحديث عن مهارات ابتكار الموضوعات البحثية فلم أقف إلا على مقالات في المنتديات ودورات مسجلة صوتية ومرئية.

وقد اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى مقدمة وثلاثة فصول، وبيانها على النحو الآتي:

مقدمة

الفصل الأول: مقدمات نظرية

المبحث الأول: مفهوم الابتكار الحديثي.

المبحث الثاني: ما لا يسع الباحث جهله.

المبحث الثالث: معرفة دواعي التصنيف.

الفصل الثاني: مظان الموضوعات البحثية (وسائل وتطبيقات)

المبحث الأول: مدخل: نصائح وتوجيهات.

المبحث الثاني: مظان الموضوعات البحثية.

المبحث الثالث: الطرق والوسائل المعينة على اقتناص الموضوعات البحثية.

الفصل الثالث: مهارات تدريبية

المبحث الأول: دمج التخصصات المختلفة مع علوم الحديث.

المبحث الثاني: البحث بطريقة الموضوعات المستحسنة مع استبدال بعض الألفاظ.

المبحث الثالث: البحث بطريقة فهارس الموضوعات.

المبحث الرابع: تخصيص العام وتعميم الخاص.

المبحث الخامس: البحث المقارن.

الخاتمة (النتائج والتوصيات)

المراجع والمصادر

فهرس المحتويات

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل ،،،

الفصل الأول: مقدمات نظرية

المبحث الأول: مفهوم الابتكار الحديثي

الابتكار في اللغة

من خلال الرجوع لمعاجم اللغة العربية نجد أن مصطلح (الابتكار) يعود للأصل الثلاثي (بكر)، وقد استخدم لعدة معانٍ، منها: الإسراع، والتبكير والسبق، وأول الشيء.

قال الأزهري: "بَكَرَ القَطَافَ جمع باكر؛ كما يُقَال: صَاحِبٌ وَصِحابٌ، وَهُوَ أَوَّلُ مَا يُدْرِكُ".
وفي الحديث: «مَنْ بَكَرَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَابْتَكَرَ فَلَهُ كَذَا»^(١)، فَمَعْنَى بَكَرَ: خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ بَاكِراً، وَمَعْنَى ابْتَكَرَ: أَدْرَكَ أَوَّلَ الْخُطْبَةِ»^(٢).

قال ابن منظور: "يُقَال: ابْتَكَرْتُ الشَّيْءَ إِذَا اسْتَوْلَيْتَ عَلَى بَاكُورَتِهِ".
وفي حديث الجمعة: «مَنْ بَكَرَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَابْتَكَرَ فَلَهُ كَذَا وَكَذَا»^(٣)؛ قالوا: بَكَرَ: أَسْرَعَ وَخَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ بَاكِراً، وَابْتَكَرَ: أَدْرَكَ الْخُطْبَةَ مِنْ أَوَّلِهَا، وَهُوَ مِنَ الْبَاكُورَةِ، وَأَوَّلُ كُلِّ شَيْءٍ: بَاكُورَتُهُ»^(٤).

الابتكار الحديثي

من خلال البحث - فيما اطلعت - لم أجد من عرّف هذا المصطلح أو أشار إليه - أي الابتكار في الموضوعات الحديثية -، ومن خلال البحث والنظر نستطيع تعريف الابتكار الحديثي بأنه: "إعمال الفكر من خلال الاستفادة من الوسائل العلمية المعينة للوصول إلى موضوع حديثي صالح ولم يُسبق إليه".

(١) رواه أبو داود في سننه/٣٤٥، وسكت عنه [وقد قال في رسالته لأهل مكة كل ما سكت عنه فهو صالح]، ورواه الترمذي، أبواب الجمعة، باب ما جاء في فضل الغسل يوم الجمعة، ١/٦٢٤ برقم (٤٩٦)، وقال: حديث حسن.

(٢) انظر: تهذيب اللغة، ١٠/١٢٦ - ١٢٨.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) انظر: لسان العرب، ٤/٧٦ - ٨٠.

المبحث الثاني: ما لا يسع الباحث جهله.

قبل الخوض في التفاصيل يجب أن نتأكد من سلامة البنية التحتية والقواعد الأساسية التي سننطلق من خلالها، فهناك أصول لا بد للباحث من معرفتها، وهي وإن كانت مُسلماتٍ؛ إلا أن التذكير بها من الواجبات؛ لأنها بمثابة الأسس والقواعد، فبقدر رسوخها وتجدُّرها بقدر ما ستعطينا هذه المادة الإضافة والفائدة التي نرجوها. وبعد تأمل بدا لي أنها تنحصر في أصليين:

الأصل الأول: أصول البحث العلمي

يعرّف العلماء المتخصصون البحث العلمي بأنه: عَمَلِيَّةٌ عِلْمِيَّةٌ، تُجْمَعُ لها الحقائق والدراسات، وتُستوفى فيها العناصر المادية والمعنوية حول موضوع معين دقيق في مجال التخصص، لفحصها وفق مناهج علمية مقررّة، يكون للباحث منها موقف معين، ليتوصل من كل ذلك إلى نتائج جديدة^(١). وهذا الأصل متفق عليه، فالباحث في كل الجامعات العالمية بشقّي تخصصاتها النظرية والتطبيقية ملزم بدراسة هذا الأصل واستيعابه، فهي المادة المشتركة بين جميع التخصصات، فينبغي على الباحث أن يعتني بهذا الأصل، ويوليّه عنايةً بالغةً، ويبتهد في فهمه ودراسته؛ فإن الإحاطة بهذا الأصل له أثره البالغ ليس في ابتكار الموضوعات البحثية فحسب، بل في جميع مراحل البحث بعد ذلك.

الأصل الثاني: أصول الفن أو التخصص

إن الباحث الذي لا يملك أبعاديات البحث العلمي وأصول تخصصه ومصطلحاته، ولا يعرف أُمَمَاتِ الكتب وأشهرها، وأبرز علماء التخصص قديماً وحديثاً، وليس له حظ يومي من القراءة المتخصصة، ولا يفرق بين أصول وفروع التخصص، وغير مطلع بالجملة على ما كُتِبَ قديماً وحديثاً لن يستفيد كثيراً من هذه المادة، فكل هذا له بالغ الأثر في فهم هذه الوسائل وتطبيقها على أرض الواقع، وبدون أدنى درجات العلم بالتخصص فلن يستفيد الباحث من هذه الوسائل، وبقدر ما معه من العلم بتخصصه بقدر ما ستزيد فرصة اكتسابه مهاراتٍ حقيقيةً في عملية ابتكار الموضوعات البحثية. وفي تقديري أن أدنى درجات المعرفة العامة المطلوبة من كل شخص مبتدئ في أي تخصصٍ كان؛ تتمثل في أمرين:

أولاً: المعرفة التامة بالمصطلحات العلمية الخاصة بتخصصه

ثانياً: معرفة تقسيمات العلم وتفرعات التخصص

(١) كتابة البحث العلمي، للأستاذ الدكتور/ عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان ٢٥/.

المبحث الثالث: معرفة دواعي التصنيف

وضوح الرؤية لدى الباحث يعينه على معرفة مساره العلمي، وبناءً عليه يستطيع تحديد مجال بحثه. ومن الأسباب المعينة على ذلك، معرفة دواعي التصنيف بشكل عام لجميع التخصصات، وبشكل خاص فيما يتعلق بتخصصه، فهذا مما يوسع مدارك الباحث ويعينه على تصنيف المؤلفات العلمية والموضوعات البحثية، فيعمل عقله في تمييز المجالات التي كثر التصنيف فيها، والمجالات التي قلَّ التصنيف فيها، ويبحث في الدوافع والأسباب، فيكون قادرًا ليس على ابتكار الموضوعات البحثية فحسب، بل على تقييمها أيضًا من حيث حاجة الساحة العلمية لموضوعاتٍ ما من عدمها.

وقد ذكر العلامة ابن خلدون - عبد الرحمن بن محمد (ت: ٨٠٨هـ) - في "مقدمته" دواعي التصنيف بشكل عام وحصرها في سبعة نقاط^(١)، ينبغي على كل باحث أن يطلع عليها ويتأملها جيدًا

دواعي التصنيف في علوم الحديث

تعددت دواعي التصنيف في علوم الحديث وتنوعت موضوعاتها، وهذا يدل على جلالة هذه العلم الشريف وفضله وشموليته. وقد اجتهد بعض العلماء في جمعها في خمسة عشر وجهًا، وهي على النحو الآتي:

الأول: حجية السنة ومكانتها، ودفع الشبه عنها.

الثاني: تاريخ السنة وعلومها.

الثالث: علوم الحديث.

الرابع: دراسات في أئمة الحديث وآثارهم، وبيان أثرهم في الحديث وعلومه.

الخامس: المجاميع الحديثية.

السادس: كتب التخريج.

السابع: كتب الزوائد.

الثامن: ترتيب كتب الحديث.

التاسع: الفهرسة.

العاشر: شروح الحديث النبوي.

الحادي عشر: فقه السنة النبوية.

(١) انظر: تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ١/٧٣١ - ٧٣٢.

(٢) التصنيف في السنة النبوية، ص ١ - ٢.

الثاني عشر: الدراسة المعرفية والحضارية في السنة النبوية.

الثالث عشر: الدراسة اللغوية والأدبية في الحديث الشريف.

الرابع عشر: الإعجاز العلمي في السنة النبوية.

الخامس عشر: الجمع والتهديب والاختصار^(٢).

وكل وجه من أوجه التصنيف يندرج تحته ويتفرع منه علوم ومباحث أخرى، فمعرفة هذه الأوجه بتفاصيلها يعين الباحث على استيعاب التخصص والبحث فيه بطريقة سليمة ومنظمة.

الفصل الثاني: مظان الموضوعات البحثية (وسائل وتطبيقات)

المبحث الأول: مدخل: نصائح وتوجيهات

قبل الدخول في العمق قليلاً ثمة إرشادات يحسن التذكير بها والتنبيه على أهميتها، وهي من الأمور التي ينبغي أن تكون عادةً مستمرة لدى الباحث، وأن يدمن عليها إدماناً حقيقياً إن كان يرجو أن يبني نفسه بناءً علمياً حقيقياً ويطور مهاراته البحثية عمومًا، ويتميز في ابتكار الموضوعات البحثية خصوصًا. وبيانها على النحو الآتي:

أولاً: الاطلاع على جديد الإصدارات والمقالات العلمية والأكاديمية

يُفترض في الإصدارات العلمية الجديدة بأنواعها المكتوبة والمسموعة أن تمثل آخر ما توصل إليه العلم والعلماء في مجال التخصص؛ ولذلك تجدد المجالس العلمية في الجامعات والكليات لا تقبل من الباحث أن يسجل رسالة علمية طُرقت من قبل، وكذلك المجالات العلمية المحكّمة. فهناك علاقة وثيقة بين اطلاع الباحث المستمر وبين مهارته في إيجاد موضوع لم يُسبق إليه، فالاطلاع الدائم جعله يحيط بآخر ما توصل إليه العلم في مجال تخصصه، وجنبه تكرار الأعمال؛ ما جعله مستعداً دائماً لاقتناص أي فرصة مشروع علمي جديد ومبتكر.

ثانياً: الاطلاع على جديد ما يُنشر في الشبكة العنكبوتية

ومما يتعلق بهذا الأمر، لا بد من الاطلاع ومتابعة عدة أمور ذات صلة، هي:

أولاً: برامج ومواقع الحديث المختلفة على الشبكة العنكبوتية، التي تيسر الوصول للحديث والحكم عليه، مثل: المكتبة الشاملة وموقع الدرر السنية وموقع إسلام ويب والجامع للحديث الشريف وموقع الباحث الحديثي، وغيرها.

ثانيًا: قيام بعض الجامعات العربية والإسلامية بإتاحة الفرصة أمام الباحثين لتصفح وتحميل مكتباتها العلمية ومجلاتهم المحكّمة. ومن الأمثلة على ذلك: مكتبة جامعة طيبة بالمدينة المنورة، والجامعة الإسلامية بغزة، والجامعة الأردنية بعمّان وغيرها. وهنا نوجه الدعوة لباقي الجامعات بفتح مكتباتها للباحثين وطلاب العلم للاستفادة منها.

ثالثًا: المنتديات العلمية المتخصصة، حيث يُعرض فيها مجموعة من الموضوعات والأفكار المتخصصة من مجموعة علماء وباحثين وطلاب علم متخصصين. ومن الأمثلة على ذلك: منتديات أهل الحديث، وموقع الألوكة، وغيرها.

رابعًا: متابعة بعض المتخصصين من خلال مواقعهم الخاصة وصفحاتهم على وسائل التواصل الاجتماعي.

خامسًا: متابعة المواقع التي تنشر الكتب العلمية وتتيح مطالعتها وتحميلها، مثل موقع: المكتبة الشاملة، وموقع جامع البحوث والرسائل العلمية، وموقع جامع الكتب المصورة. في المحصلة دعوتنا لمتابعة الشبكة العنكبوتية وكل ما يتعلق بها نابغ من الحرص على تسخيرها لخدمة البحث واستغلالها بشكل إيجابي؛ وذلك نظرًا لسهولة استخدامها وسرعة الحصول على المعلومة.

ثالثًا: القراءة المستمرة في الكتب والأبحاث المتخصصة^(١)

القراءة المستمرة والعميقة في الكتب والأبحاث المتخصصة هي الأصل الذي يتفرع منه كل ما ذكر وما سيذكر، وما لم يُذكر. ولا يُتصور أن باحثًا يسعى لتطوير نفسه وإثراء خبراته وتخصّصه ليس له نصيب من القراءة في كتب التخصص، فهي بمثابة الأساس للبيان، فمهما تنوعت الطرق والوسائل المقترحة في عملية ابتكار الموضوعات البحثية لن يُجدي ذلك نفعًا مع باحث ليس له نصيب من هذا النوع من القراءة، فلا بد للباحث أن يكون مُلمًا بتخصّصه إلمامًا يُعينه على اقتناص الجوانب البحثية التي لم تُطرق، وقراءة ما بين السطور.

المبحث الثاني: مظان الموضوعات البحثية

من المسلّمات البحثية أن مَنْ أراد الحصول على معلومةٍ ما فإنه يبحث عنها في مظانها، وإلا لعدّ ذلك تخبّطًا وضياغًا للوقت والجهد، فإن لم يجد مراده فله أن يوسع دائرة البحث بقدر ما يحتاجه ولا يزيد، وكذلك الموضوعات البحثية مظانها معروفة لدى الباحثين إلا أنه يغفل عنها أو عن بعضها أحيانًا

(١) يقول جبران مسعود: "التخصص هو دراسة فرع معين في العلم أو الفن أو الصناعة للتفرغ إليه دون سواه". الرائد، معجم لغوي

أو قد يخفى ذلك على بعض الطلاب المبتدئين؛ لذا سنذكر أهم ما يُعتقد أنه يمكن أن يكون مصدرًا لفكرة بحثية مبتكرة.

أولاً: خاتمة الرسائل الأكاديمية والمقالات العلمية المحكمة

من مقتضيات البحث الأكاديمي أن يقوم الباحث بوضع النتائج التي توصل لها في نهاية بحثه خلال عملية البحث، وكذلك من مواصفات الباحث الناجح أن يضع مجموعة من التوصيات للباحثين ليكون بحثه مُنطلقاً لها، وهذه القائمة الصغيرة التي قد لا تتجاوز صفحة أو صفحتين في بعض الأبحاث هي من أفضل الوسائل وأقصرها وأقلها جهداً للباحث في طريقه لإيجاد موضوع بحثي مبتكر، وكلما كان البحث حديثاً كانت الفرصة أكبر في اقتناص الموضوعات البحثية؛ وذلك لأنه يُفترض أن هذا الباحث قد استقصى الموضوع بشكل جيد، فغالب ما يطرحه من توصيات هي بناءً على دراسة وبحث واطلاع. وسنضرب بعض الأمثلة على ذلك، فسيتم اختيار بعض الأبحاث بطريقة عشوائية للتمثيل فقط، فمقصودنا هو معرفة كيف تُبتكر الموضوعات البحثية، وأما البحث في كون الموضوع حديثاً أو لا فليس هذا ما نسعى إليه في طرحنا هنا.

هناك بعض الأبحاث التي تدرس جانباً ما دراسة قصيرة لا تستوعب الموضوع، فتجد الباحث في نهاية البحث (التوصيات) يشير إلى ذلك إشارة صريحة.

المثال الأول: بحث محكم بعنوان (إشارات النقد الحديثي في بعض تراجم صحيح الإمام

البخاري) للدكتور عبد الله بن فوزان بن صالح الفوزان، جاء في إحدى توصياته: حاجة هذا الموضوع إلى دراسة أوسع، وتناول أشمل، فكل الذي مضى إنما هي دراسة نموذجية على بعض الأبواب؛ لفتح أفق في هذه المسألة الجلية.

حيث أشار هنا الباحث إشارة صريحة إلى أن الموضوع بحاجة إلى التوسع، فهنا تُقتنص الفرص، فقد اختصر عليك هذا الباحث وقتاً وجهداً كبيرين، وفتح لك الباب على مصراعيه، فكل ما تحتاجه هو إعادة صياغة خطة البحث بما يتناسب مع التوسع في حدود أو نطاق البحث واستقراء جميع المسائل التي لم يتطرق إليها من سبقك.

وبناءً عليه سنعدل على عنوان البحث تعديلاً يسيراً جدًّا فنحذف كلمة (بعض) ليصبح الموضوع (إشارات النقد الحديثي في تراجم صحيح الإمام البخاري) بدلاً من (إشارات النقد الحديثي في بعض تراجم صحيح الإمام البخاري).

المثال الثاني: في رسالة دكتوراه بعنوان (العقوبات المعنوية في صحيح البخاري؛ جمع ودراسة)

للباحث: حميد محمد عالي، حيث جاء في توصياتها:

إن هذا الموضوع ما زال يحتاج إلى عمل أكثر؛ لأن هناك أحاديث متعلقة بالموضوع في غير صحيح البخاري، وما بقي في غيره من الأحاديث الصحيحة ليس بقليل.

وتوصية أخرى، حيث قال:

أوصي اخواني الفضلاء بأن يضيفوا إلى هذا الجانب الثواب المعنوي في صحيح البخاري وفي سائر كتب السنة.

وهنا يمكن أن يتوصل الباحث من خلال التوصيات السابقة إلى عدة أفكار يمكن أن تكون بعنوان (العقوبات المعنوية في صحيح مسلم؛ جمع ودراسة)، وفكرة أخرى بعنوان (الثواب المعنوي في صحيح البخاري؛ جمع ودراسة).

ثانيًا: توصيات المؤتمرات والندوات العلمية

يُعد حضور الندوات والمؤتمرات العلمية - خصوصًا المحكّم منها - من أكثر مصادر الفائدة العلمية؛ وذلك لأنها تجمع المتخصصين والباحثين بهدف إثراء عدة محاور بأبحاث تخصصية لم تُنشر من قبل، وفي نهاية هذه التظاهرة العلمية، وبعد طرح مجموعة من الأبحاث المقبولة ومناقشتها عبر جلسات علمية تضم نخبة من أهل التخصص، يقدم القائمون على هذه المؤتمرات جملة من التوصيات هي خلاصة عشرات الأبحاث والتوصيات التي أدلى بها أهل العلم في التخصص، ولا تخلو هذه المؤتمرات وتوصياتها من التصريح أو التلميح إلى موضوعات جديدة بالبحث والدراسة أو فتح آفاق للتوسع في دراسات سابقة أو التحريض على ضرورة إعادة النظر في بعض المسلمات العلمية، وغير ذلك.

ولبيان عملي على ما سبق سنستعرض توصيات "الندوة العلمية الدولية الخامسة بعنوان: "الاستشراف والتخطيط المستقبلي في السنة النبوية"^(١).

فقد جاء في بعض توصياتها:

أولاً: ضرورة إنشاء موسوعة الأحاديث النبوية المتعلقة بالاستشراف والتخطيط المستقبلي.

ثانيًا: تبويب نصوص السنة النبوية في الاستشراف والتخطيط المستقبلي بعناوين معبرة تخدم الواقع المعاش وتبشر وتؤمل بمستقبل واعد.

ثالثًا: الاعتناء بدراسة مراحل السيرة النبوية المختلفة برؤية استشرافية تخطيطية، تكشف مجالات التخطيط عند النبي صلى الله عليه وسلم في مراحلها المتنوعة.

رابعًا: ضرورة أن يفتح الباحثون آفاق البحث في الاستشراف والتخطيط المستقبلي لدى الصحابة رضوان الله عليهم وغيرهم.

(١) عُقدت الندوة في رحاب كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي ١٦-١٧ جمادى الأولى ١٤٣٢هـ ١٩-٢٠ أبريل ٢٠١١م.

خامساً: أن تهتم المناهج التعليمية بتربية الأجيال على الاستشراف والتخطيط وفق الهدي النبوي. هذه خمس توصيات، بقليل من التأمل سنخرج بعدة أفكار هي:

أولاً: من خلال التوصية الأولى: "موسوعة الأحاديث النبوية المتعلقة بالاستشراف والتخطيط المستقبلي".

ثانياً: من خلال التوصية الثانية: "الاستشراف والتخطيط المستقبلي في السنة النبوية، تطبيقات على الواقع المعاصر".

ثالثاً: من خلال التوصية الثالثة: "مجالات الاستشراف والتخطيط المستقبلي؛ دراسة استقرائية لكتب السيرة النبوية".

رابعاً: من خلال التوصية الرابعة: "الاستشراف والتخطيط المستقبلي عند الخلفاء الراشدين".

خامساً: من خلال التوصية الخامسة: "أثر السنة النبوية في توعية الأجيال بضرورة الاستشراف والتخطيط المستقبلي".

هذه محاولات سريعة لابتكار موضوعات بحثية من خلال توصيات المؤتمر، علماً أنها ليست الوحيدة، بل يمكن ابتكار أفكار أخرى من خلالها.

وهنا لا بد من الإشارة إلى أنه ليس بالضرورة أن يكون المؤتمر داخلياً في تخصصك العلمي؛ فقد يكون المؤتمر في الاقتصاد - مثلاً - بينما تخصصك في الحديث الشريف، ومع ذلك قد تتوصل لموضوعات مبتكرة وفي غاية الأهمية.

جرب أن تطبق هذه الطريقة على التوصيات السابقة أو غيرها من توصيات المؤتمرات والندوات العلمية.

ثالثاً: المحاضرات واللقاءات العلمية المتخصصة

في أغلب اللقاءات العلمية يكون أصحابها قد درسوا وبحثوا الموضوع من جميع جوانبه، من حيث ما سبق وما استقر عليه الحال وما يمكن أن يكون في المستقبل؛ ولذلك قد يشيرون عليك مباشرة بموضوع بحث أو مشكلة أو ثغرة بحثية تحتاج إلى دراسة، وفي أحيان كثيرة يحتاج الأمر إلى يقظة فتقتنص تلك الموضوعات من خلال حديث المحاضر من غير أن يكون هناك توجيه مباشر.

ومن الأمثلة على الحالة الأولى، التي يشير المحاضر فيها مباشرة إلى عنوان صالح للبحث: في سلسلة دروس مسجلة للأستاذ الدكتور حاتم بن عارف العوني بعنوان: "تاريخ نشوء مصنفات السنة النبوية" ذكر ما كُتِبَ من السنة في زمن النبي عليه الصلاة والسلام، ثم ذكر أن الذي صح من ذلك هي ثلاث صحائف فقط.

فالصحيفة الأولى هي: صحيفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقد قام أحد الباحثين المعاصرين بجمع روايات هذه الصحيفة وتقديمها في جزء منفرد مع شرحها، وبيان ما يتعلق بها من الأحكام على وجه الاختصار، وهو الدكتور رفعت فوزي عبد المطلب في كتاب باسم: صحيفة علي بن أبي طالب.

والصحيفة الثانية هي: صحيفة عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، التي كتبها بإذن النبي صلى الله عليه وسلم وبين يديه، وهي التي كان يلقبها عبد الله بن عمرو بالصحيفة الصادقة، وقال عنها: "هذه ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بيني وبينه أحد"، وقد حُفِظَ لنا أكثر هذه الصحيفة من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده.

ثم قال: "يمكن لأحد الباحثين أن يدرس هذه الصحيفة كاملة ويجمع أحاديثها كاملة ويميز صحيحها من سقيمها في جميع ما تناله اليد من كتب السنة، وهذا مشروع جيد وحسن لو قام به أحد الناس وضم إليه ما ثبت أنه من الصحيفة من غير رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده".

فهذا إذن توجيه صريح وعنوان جاهز للبحث والدراسة حصلنا عليه من خلال مثل هذه اللقاءات أو الدورات والندوات المتخصصة، وبغض النظر إن كان الموضوع بُحِثَ أو لم يبحَث فإن المحاضر غالبًا يكون قد بحث وتثبت، فكل ما تحتاج إليه هو أن تبني على كلامه بمزيد من البحث والتثبت، والمقصود أننا نستطيع اقتناص الموضوعات البحثية من خلال هذه الطريقة.

والجميل في هذه الطريقة على يسرها وسهولتها هو أن تعلم أن المحاضر توقف في البحث عند هذه النقطة ووضعك في أقصى ما توصل إليه، وهذا يعني أنه اختصر عليك مشوارًا طويلاً من البحث والتقصي، وكل ما عليك هو أن تبني على حديثه ونتائجه السابقة وتبحث عما بوسعك إضافته إلى هذا الموضوع.

ثم قال: وأما الصحيفة الثالثة فهي: صحيفة عمرو بن حزم التي أملاها النبي صلى الله عليه وسلم له لما بعثه إلى اليمن، وهي صحيفة جلييلة تضمنت أحكامًا مهمة من أحكام التشريع؛ كأحكام الزكاة، وأسنان الإبل، والكبائر، والجزية، والديات، ومس القرآن، والوضوء، والطلاق، والعنق، وبعض الأحكام المتعلقة بالصلاة، وغير ذلك.

رابعًا: البحث في المسلمات أو فيما بُحِثَ من قبل

حتى لا يلتبس الأمر على البعض، فإننا نعني بالمسلمات هنا، تلك البحوث والآراء التي قررها بعض الباحثين، واستقر القول بها عند من جاء بعدهم، أو هي تلك البحوث التي أغلق البحث فيها

بمجرد أن فلاناً قد بحثها، فبعض تلك المعلومات يتناولها الناس ويستشهدون ويستدلون بها، وتتعاقب البحوث والدراسات، وتكثر الاقتباسات دون الوقوف عليها والتأمل في مدى جديتها وصلاحيتها، وقد ذكر ابن خلدون من خلال حديثه عن دواعي التصنيف فقال: "أن يعثر المتأخر على غلط أو خطأ في كلام المتقدمين ممن اشتهر فضله، وبَعْدَ في الإفادة صيته، ويستوثق من ذلك بالبرهان الواضح الذي لا مدخل للشك فيه، ويحرص على إيصال ذلك لمن بعده؛ إذ قد تعدّر محوه ونزعه بانتشار التأليف في الآفاق والأعصار وشهرة المؤلف ووثوق الناس بمعارفه؛ فيودع ذلك الكتاب ليقف الناظر على بيان ذلك"^(١). وهذا يحتاج إلى جهد كبير في تقصي هذه الموضوعات والبحث عنها من خلال الاطلاع الواسع، كما أنه لا بد من وجود مبرر واضح لإعادة النظر في مسلمات تلك الدراسات التي بُحِثَتْ من قبل، كأن يكون الباحث السابق لم يستقصِ الموضوع من جميع جوانبه، أو بسبب وجود خلل في منهج البحث أو في مرحلة التحليل والنقد أو غير ذلك.

ومثال ذلك:

ذكر فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور بشار عواد - حفظه الله - وغيره أن عبارة (صححه الحاكم ووافقه الذهبي) كلمة دارجة عند كثير من الباحثين، وهي غير مسلمة، فما ورد في مختصر الذهبي من الحكم على الأحاديث مخالف لما جاء في بعض كتبه، ثم ذكر أن أحد الطلاب بحث هذا الموضوع وعمل دراسة مقارنة بين ما جاء في المختصر، وما جاء في بعض كتب الحفاظ الذهبي، فوجد فوارق كثيرة، وحكم بأن عبارة (صححه الحاكم ووافقه الذهبي) غير مسلمة، وهي من نقل الحفاظ الذهبي واختصاره لكلام الحاكم، وليس من حكمه هو على الحديث، وقد يقول قائل: إن في المسألة خلافاً، أقول: نعم، وقد سُجِلَتْ رسائل في هذا الموضوع، فمنهم من نفى، ومنهم من حاول توجيه اختلاف أقوال الحفاظ الذهبي، ومنها على سبيل المثال رسالة بعنوان: "توجيه اختلاف أقوال الحفاظ الذهبي في الرواة الذين تكلم فيهم في تلخيص المستدرك مع أقواله فيهم في الكاشف والمغني والميزان". والمقصود أنه مجال بحث بغض النظر عن أي القولين أصح. والله أعلم.

خامساً: استشارة المتخصصين وطلبة العلم وأصحاب الخبرة

ينبغي للباحث الحرص على استشارة الآخرين من أهل التخصص، سواء من أساتذة الجامعات أو طلبة العلم وغيرهم، فقد يجد الباحث عندهم فكرة ينطلق منها، وهذا الأمر لا يقلل من أهمية الباحث؛ لأن الاستشارة والاستئناس برأي الآخرين منهج إسلامي أصيل، له من الهدي النبوي الشواهد الكثيرة، ويدخل في باب التعاون على البر والتقوى والخير.

(١) انظر: تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ٧٣١/١ - ٧٣٢.

سادسًا: الأفكار التي تُطرح في السنة التحضيرية

كثير من الجامعات في البلاد العربية تلزم طلابها بدراسة مجموعة من المواد الدراسية التخصصية قبل البدء بالرسالة، وهذه المواد تكون متقدمة جدًا، وتحتوي على محتوى ثريّ وغنيّ بالمادة العلمية، وطريقة التدريس تكون بهذه المراحل مختلفة عن المرحلة الجامعية الأولى (البكالوريوس)، فيكون الاعتماد فيها على الطالب، فيطلب منه كتابة الأبحاث، وتحضير المادة العلمية وتقديمها للطلاب، والمدرس يكون هو المشرف والمصوّب والموجّه فقط، ويتم خلال دراسة هذه المواد طرح مجموعة من الأفكار البحثية من قبل المدرسين والطلاب، والباحث الذكي الفطن هو من يلتقط هذه الأفكار والمقترحات ويدونها أولاً بأول، فينطلق منها ويبنى عليها، فقد يظفر بفكرة بحثية جيدة لم يُسبق إليها.

سابعًا: كثرة القراءة والمطالعة في الكتب المتخصصة والأبحاث والرسائل العلمية

لا شك أن لمطالعة الكتب والأبحاث والقراءة والتمعّن فيها فوائد كبيرة للباحث، لعل من أهمها فتح الآفاق البحثية لدى الباحث، فقد ترد هنا أو هناك فكرة يقتنصها الباحث ويبنى عليها بحثه، لكن الباحث الفطن هو الذي يعرف كيف وماذا يقرأ، فيكون له نصيب من كتب التخصص والمراجع الأصيلة، وكذلك لا بد من مواكبة ما يصدر في مجال تخصصه من كتب وأبحاث ورسائل. وهنا لا بد من التذكير بدور أساتذة الجامعات والعلماء بضرورة تقديم النصيحة لطلابهم بالقراءة وتوجيهها، بمعنى أين يقرأ وماذا يقرأ ليحصل على الفائدة التي تعينه على الوصول لبحثه.

ثامنًا: متابعة ما كُتب من قبل ومحاولة العمل على منواله إن أمكن

قلت فيما مضى: إن من مواصفات الباحث الجيد متابعة كل جديد في مجال تخصصه، من رسائل وأبحاث علمية، لا سيما في هذه الأيام التي أصبحت المتابعة فيها أسهل من ذي قبل؛ نتيجة للتطور العلمي والتقني من خلال شبكة المعلومات، ثم النظر والتأمل والتفكير في إمكانية عمل رسالة على منوالها أم لا، بحيث يكون فيها إضافة علمية ولا تكون مشابهة لما تم طرحه سابقًا.

قال ابن رجب: كان ابن الجوزي إذا رأى تصنيفًا وأعجبه صنف مثله في الحال، وإن لم يكن قد تقدم له في ذلك الفن عمل؛ لقوة فهمه، وحدّة ذهنه، فرمى صنف لأجل ذلك الشيء ونقيضه، بحسب ما يتفق له من الوقوف على تصانيف من تقدمه^(١).

وهنا أمثلة كثيرة يمكن إيرادها في هذا الباب، مثلاً:

١. مرويات راوٍ ما.

(١) ذيل طبقات الحنابلة (١/٤١٥).

٢. الأحاديث المعلّة بالاختلاف على راوٍ ما.

٣. طبقات الرواة عن راوٍ ما.

وغيرها من الأفكار التي يمكن العمل على منوالها والبدء بنفس الفكرة.

تاسعاً: تطوير بحث كُتب بمادة من المواد التحضيرية

قلت فيما سبق: إن الكثير من الجامعات تقرر على طلاب الدراسات العليا - خصوصاً بمرحلة الدكتوراه - دراسة مجموعة من المواد التخصصية التحضيرية التي تسبق مرحلة البدء بكتابة الرسالة، مثل الجامعات السعودية والأردنية، ويكون التدريس في هذه المرحلة مختلفاً عن التدريس بالمراحل الأخرى، من حيث إن الاعتماد الكليّ فيها يكون على الطالب، لا الدكتور، وكتابة الأبحاث العلميّة والتقارير في كل مادة من المواد وتقديمها للدكتور والزملاء الطلاب للمناقشة خلال المحاضرات.

وهنا يأتي دور الطالب في الاحتفاظ بهذه الأبحاث القصيرة ذات الأوراق المحدودة، ثم النظر فيها لاحقاً ومعرفة هل يوجد إمكانية لتطوير أحد هذه الأبحاث، بحيث تصبح رسالة علمية أم لا، فهناك الكثير من الطلاب بدأت فكرتهم وانطلاقتهم من هنا، ونحن دائماً نقول: إن الباحث الذكي هو الذي يملك القدرة على استنتاج الأفكار من خلال الوسائل المعينة، والتي قد لا يتنبه إليها غيره، وبناءً على ذلك ستُفتح له الآفاق، ويختصر على نفسه الوقت والجهد، ويكون بذلك قد شكّل معلومةً مبدئيةً عن بحثه وأبرز الأفكار القابلة للطرح.

عاشراً: البحث في مواقع البحث على الشبكة العنكبوتية والمنتديات العلمية المتخصصة

في ظل التطور العلمي والتقني وانتشاره وعدم إمكانية الانسلاخ عنه، أصبح من اليسير الحصول على المعلومة ونقلها والاستفادة منها، وهي سلاح ذو حدين، بحيث يمكن استخدامها في الجانب الإيجابي والسلبي، فهنا نؤكد على ضرورة تسخير هذه الثروة العلمية تسخيرًا إيجابيًا مفيداً لنا في نشر وأخذ المعلومة المفيدة.

ومن فضل الله تعالى أن وُجد على هذه الشبكة مجموعة كبيرة من المواقع والمنتديات التي تُعنى بالسنة النبوية وعلومها وكل ما يتعلق بها، وبعضها يقدم أفكاراً بحثية مقترحة ونبذة عن آخر الأبحاث والرسائل، وهو ما يستدعي أن يقوم الباحث بمراجعة ومتابعة هذه المواقع والمنتديات والمساهمة فيها بشكل فاعل ومفيد.

حادي عشر: تكملة فكرة بحثية بدأها في مرحلة سابقة

ونقصد هنا أن بعض الطلاب يكون في مرحلةٍ قد كتب بحثاً للتخرج - بنهاية مرحلة البكالوريوس - فيستطيع الباحث في مرحلة الماجستير تكملة بحثه السابق أو التوسع فيه، وكذلك في الدكتوراه يمكنه

إكمال فكرة بحثية كتب بها رسالته للماجستير، وهذا أمر له إيجابياته وسلبياته، فمن إيجابياته للطالب تسهيل الحصول على الفكرة ووجود التصور العام حولها، أما سلبياته فهي أنه قد لا يضيف جديدًا علميًا للطالب؛ لأنه حصل معظم المعلومات في البحث الأول؛ لذلك يُنصح الباحثون دائمًا بالبدء بفكرة جديدة في كل مرحلة؛ حتى يحقق التنوع العلمي المفيد الذي يثري معلوماته ويغنيها وينوعها. ومن الأمثلة على ذلك:

رسالة ماجستير للدكتور مبارك سيف الهاجري بعنوان (التابعون الثقات المتكلم في سماعهم من الصحابة ممن لهم رواية عنهم في الكتب الستة، من حرف الألف إلى آخر حرف الزاي؛ جمع ودراسة) ورسالته للدكتوراه بعنوان (التابعون الثقات المتكلم في سماعهم من الصحابة ممن لهم رواية عنهم في الكتب الستة، من حرف السين إلى آخر حرف العين جمع ودراسة).

المبحث الثالث: الطرق والوسائل المعينة على اقتناص الموضوعات البحثية أولاً: القراءة النقدية

نقصد بالقراءة النقدية: "محاولة فهم النص المقروء وتحليله وتمييزه ومقارنته بغيره وتقويمه". فالقراءة النقدية مرحلة متقدمة، وتتفاوت من باحث لآخر، فبقدر تمكنك من تخصصك وسعة اطلاعك تكون استفاداتك من تطبيق النقد والتحليل من خلال القراءة، فالقراءة النقدية تعتمد على التوقف في قبول المعلومة، وعدم التسليم لكل ما هو مكتوب، والبحث في صلاحية الدليل والتفاعل مع النص عن طريق طرح الأسئلة والاستشكالات بقصد نقضه أو دعمه وإثباته.

ومن الأمثلة على ذلك

قال الإمام البخاري: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ، قَالَ: خَاصَمَ الزُّبَيْرُ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ فِي صَرِيحٍ مِنَ الْحَرَّةِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اسْقِ يَا زُبَيْرُ، ثُمَّ أَرْسِلِ الْمَاءَ إِلَى جَارِكَ»، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْ كَانَ ابْنُ عَمَّتِكَ. فَتَلَوْنَ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ: «اسْقِ يَا زُبَيْرُ، ثُمَّ اخْبِسِ الْمَاءَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى الْجَدْرِ، ثُمَّ أَرْسِلِ الْمَاءَ إِلَى جَارِكَ»، وَاسْتَوْعَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلزُّبَيْرِ حَقَّهُ فِي صَرِيحِ الْحُكْمِ حِينَ أَحْفَظَهُ الْأَنْصَارِيُّ، كَانَ أَشَارَ عَلَيْهِمَا بِأَمْرٍ لهُمَا فِيهِ سَعَةٌ، قَالَ الزُّبَيْرُ: فَمَا أَحْسَبُ هَذِهِ الْآيَاتِ إِلَّا نَزَلَتْ فِي ذَلِكَ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾^(١).

ثم رواه البخاري في موضع آخر دون الزيادة (في صَرِيحِ الْحُكْمِ حِينَ أَحْفَظَهُ الْأَنْصَارِيُّ).

(١) كتاب تفسير القرآن، باب ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥]، ٤٦/٦ برقم (٤٥٨٥).

وقد نقل ابن حجر قولاً للخطابي: "هذه الزيادة يشبه أن تكون من كلام الزهري، وكانت عادته أن يصل بالحديث من كلامه ما يظهر له من معنى الشرح والبيان"^(٢). فقد أشار الخطابي هنا إلى أن الزهري كان من عادته أنه يصل بالحديث من كلامه ما يظهر له من معنى الشرح والبيان، وهذا الكلام يحتاج إلى وقفة وتأمل، فما مدى صحة قول الخطابي في الزهري؟ فقد يكون الموضوع صالحاً للبحث، بحيث يتم تتبع روايات الزهري والتحقق من صحة كلام الخطابي.

ثانياً: متابعة الشبهات التي تُطرح وتطوراتها

منذ أن بعث الله سبحانه وتعالى نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم وأعداء الإسلام ما فتروا ولا استراحوا وما زالوا ييثون سمومهم بين أبناء المسلمين، ومن يعتقد أن الشبهات التي تُطرح حول القرآن الكريم على وجه العموم، أو السنة النبوية على وجه الخصوص، هي مجرد كلام مكرّر فهو واهم، صحيح أن الشبهات في مجملها قديمة، وقد رد عليها العلماء قديماً وحديثاً، ولكن الأسلوب وطريقة الطرح قد تغير وتطور، وبناء على ذلك ينبغي على الباحث أن يواكب هذه التغيرات والتطورات، ويسعى لأن يغيّر ويطور من دفاعه ونقضه لهذه الشبهات، فمن واكب تلك الشبهات وأهلها، سيبتكر دون أدنى شك موضوعاً بحثياً يضيف جديداً في تخصصه.

كما ينبغي على الباحث أن يكون فطناً لما يُطرح، فكثرة طرح شبهة ما دليل على أن تلك الشبهة لم تحظَ برّد كافٍ، فيجب عليك حينها أن تعيد النظر في هذه الشبهة وتدرسها جيداً وتحاول أن تتناولها بطريقة مختلفة عمن سبقوك، وربما توصلت لنتيجة لم تُسبق إليها من قبل، ومن التجارب المتميزة في هذا المجال ما قام به الدكتور محمد عبده يماني، بمساعدة الدكتور محمد ضياء الدين الأعظمي، وبمشاركة عدد من الباحثين في بحث الشبهة المثارة حول كثرة مرويات الصحابي الجليل أبي هريرة - رضي الله عنه - مع تأخر إسلامه؛ فنقد المرويات ودرسها وبحثها؛ فخرج بنتائج إيجابية.

يقول الدكتور محمد عبده يماني: "ولو حسبنا عدد أيام صحبته للنبي - صلى الله عليه وسلم - لوجدنا أنها تبلغ أكثر من ألف وأربعمائة وستين يوماً، ولو قسمنا ما روى عنه من الأحاديث الشريفة على هذه الأيام وجدنا أنه يروي كل يوم ما يقارب ثلاثة أحاديث ونصفاً، وفي كل مائة يوم (٣٦٧) حديثاً، أو أنه كان يحفظ مائة حديث في كل سبعة وعشرين يوماً، فهل يُستغرب أن يحفظ أبو هريرة - رضي الله عنه - كل يوم أربعة أحاديث، مع ما رأينا من قصة الكساء، وقصة الدعاء، وما رأينا من حرصه على العلم، وحرصه على حفظ الأحاديث الشريفة، ومع ما رأينا من انقطاعه لخدمة النبي -

(٢) فتح الباري، ٣٨/٥.

صلى الله عليه وسلم - وسماع أقواله، وزهده في الدنيا، وعيشه مع أهل الصُّفَّة، وصبره على الجوع في سبيل ذلك^(١).

ويقول -الدكتور محمد عبده يماني-: "وعندما قمتُ بنفسي بالتحقق من هذه المسألة بواسطة فريق مختص في الحاسب الآلي ظهرت لنا حقائق مهمة عن روايات أبي هريرة؛ فعندما تتبعنا رواياته وجدنا أن هناك ما يزيد عن ثمانمائة صحابي وتابعي رووا عنه الحديث، وكلهم ثقات، لكن القضية الأساسية التي أفادتنا عند استخدام الحاسب الآلي؛ هي أنه عندما أدخلت هذه الأحاديث المروية في كتب الحديث الستة وجدنا أن أحاديث أبي هريرة بلغت (٥٣٧٤)، ثم وجدنا بعد الدراسة بواسطة الكمبيوتر أن المكرر منها هو (٤٠٧٤)، وعلى هذا يبقى العدد غير المكرر (١٣٠٠)، وهذا العدد تتبعناه فوجدنا أن العديد من الصحابة قد رووا نفس هذه الأحاديث من غير طريق أبي هريرة؛ هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى: وبعد أن قمنا بحذف الأحاديث التي رويت من غير طريق أبي هريرة في كتب الصحاح الستة؛ وجدنا أن ما انفرد به أبو هريرة ولم يروه أي صحابي آخر هو أقل من عشرة أحاديث. ثم شاء الله أن نطور العمل في أحاديث أبي هريرة؛ فانتقلنا من الكتب الستة إلى الكتب التسعة؛ وقد لاحظنا أن الأحاديث في الكتب التسعة المنسوبة إلى أبي هريرة هي (٨٩٦٠) حديثاً؛ منها (٨٥١٠) بسند متصل، و(٤٥٠) حديثاً بسند منقطع.

وبعد التدقيق: انتهينا إلى أن الأحاديث التي رواها أبو هريرة في كل هذه الكتب التسعة - بعد حذف المكرر - هي (١٤٧٥) حديثاً، وقد اشترك في روايتها معه عدد من الصحابة. وعندما حذفنا الأحاديث التي رويت عن طريق صحابة آخرين وصلنا إلى حقيقة مهمة؛ وهي أن ما أتى به أبو هريرة مع المكررات في كتب الحديث التسعة هي (٢٥٣) حديثاً، ثم إن الأحاديث التي

(١) يشير إلى ما أخرجه البخاري: أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنَّكُمْ تَقُولُونَ: إِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ يُكْثِرُ الْحَدِيثَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَقُولُونَ: مَا بَالُ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ لَا يُحَدِّثُونَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمِثْلِ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَإِنَّ إِخْوَتِي مِنَ الْمُهَاجِرِينَ كَانَ يَشْغَلُهُمْ صَفْقُ بِالْأَسْوَاقِ، وَكُنْتُ أَلْزِمُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مِلَّةٍ بَطْنِي، فَأَشْهَدُ إِذَا غَابُوا، وَأَحْفَظُ إِذَا نَسُوا، وَكَانَ يَشْغَلُ إِخْوَتِي مِنَ الْأَنْصَارِ عَمَلُ أَمْوَالِهِمْ، وَكُنْتُ أَمْرًا مَشْكِيئًا مِنْ مَسَاكِينِ الصُّفَّةِ، أَعْمَى حِينَ يَنْسَوْنَ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَدِيثٍ يُحَدِّثُهُ: «إِنَّهُ لَنْ يَبْسُطَ أَحَدٌ ثَوْبَهُ حَتَّى أَقْضِيَ مَقَالَتِي هَذِهِ، ثُمَّ يَجْمَعُ إِلَيْهِ ثَوْبَهُ، إِلَّا وَعَى مَا أَقُولُ»، فَبَسَطْتُ ثَوْبَهُ عَلَيَّ، حَتَّى إِذَا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقَالَتَهُ جَمَعْتُهَا إِلَى صَدْرِي، فَمَا نَسِيتُ مِنْ مَقَالَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تِلْكَ مِنْ شَيْءٍ.

صحيح البخاري: كتاب البيوع، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٠) وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكُمْ قَائِمًا ۚ قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ ۚ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [الجمعة: ١٠، ١١]، وقوله: ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٢٩]، ٥٢/٣ برقم (٢٠٤٧).

انفرد بها أبو هريرة بدون تكرار ولم يروها أحد غيره في الكتب التسعة هي (٤٢) حديثاً، وما زلنا نواصل البحث.

لكن هذه الأمور وهذه الحقائق أزلت كل تلك الشبه والتهم العقيمة والمغرضة التي كانت تُلصق بأبي هريرة، ويتهمون فيها بالإكثار، ويقولون عنه -رضي الله عنه-: إنه روى (٨٠٠٠) حديث بمفرده، وبعضهم يقول: إنه روى (٥٠٠٠) حديث بمفرده؛ هكذا دون رواية أو تدقيق أو تمحيص^(١).

إذن هذا باحث متأخر توصل إلى نتائج جيدة فيما يخص هذه الشبهة، ولو سلم هذا الباحث لما هو مسطر في الدفاع عن أبي هريرة؛ لما وصلنا لهذه الحجة الدامغة التي برأت ساحة الصحابي الجليل، وأزلت اللبس والإشكال، وأضافت دليلاً إلى تلك الأدلة التي تنصف صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وهناك الكثير من الأبحاث والرسائل التي ردت على شبهات متعددة، سواء بالمحمل، أو تناولت كاتباً أو مؤلفاً. وإذا علمنا أنه كل مدة من الزمن يخرج علينا كاتب جديد ومؤلف جديد طعن في السنة النبوية؛ علمنا مقدار الحاجة للرد على هذه الشبهات ودحضها وإثبات بطلانها. ومما أنصح به وأكد عليه هو موضوع الصحيحين وما يُثار حولهما، وذلك لقيمتيهما ومكانتهما عندنا نحن أهل السنة والجماعة، فالطاعنون الآن كثر، والشبهات كثيرة، حيث أخذت ألواناً وأشكالاً جديدة، مع أن أكثرها لا جديد به لكن تبقى الحاجة قائمة للرد عليها.

ثالثاً: قراءة الموضوعات البحثية لتخصصات مختلفة

تُعد قراءة الموضوعات البحثية في غير تخصص الباحث وسيلة من الوسائل التي تعين على ابتكار الموضوعات، فمع كثرة الاطلاع تتسع دائرة بحثه وأفقه، وربما وقع على موضوع مبتكر لم يتطرق إليه أحد.

وسنضرب مثلاً حياً على هذا، فقد ألف أبو حفص عمر بن عبد المجيد المعروف الميائني (ت: ٥٨١ هـ) كتاباً تحت عنوان "ما لا يسع المحدث جهله"، وبنفس فكرة العنوان ألف كلٌّ في تخصصه وفنه. ومما كتب على نحو هذا العنوان:

١. ما لا يسع المسلم جهله: الدكتور عبد الله المصلح والدكتور صلاح الصاوي.
٢. أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله: الدكتور عياض بن نامي السلمي.
٣. ما لا يسع الطبيب جهله: الدكتور يوسف بن اسماعيل.
٤. ما لا يسع التاجر جهله: الدكتور عبد الله المصلح والدكتور صلاح الصاوي.

(١) أبو هريرة: أمانة الرواية وصدقها، جريدة الشرق الأوسط، الخميس ١٠ رمضان ١٤٢٦هـ، ١٣ أكتوبر ٢٠٠٥م العدد (٩٨١٦).

وحتى المطالعة في تخصصات قد لا تخطر على بال الباحث، فقد استفاد من فكرة هذا الموضوع متخصصون في الهندسة المدنية والجيولوجيا وكتبوا مقالات في تخصصاتهم تحت هذا العنوان. والحقيقة التي نريد أن نقولها هنا هي أن الابتكار كان في صياغة العنوان وليس في المحتوى، وإلا فإن أكثر الكتب المتخصصة التي تستهدف المبتدئين من أهل التخصص يكتبون تحت كلمة (مدخل) فتجد مثلاً:

١. المدخل إلى علوم الحديث: الدكتور طارق بن عوض الله.
٢. مدخل لدراسة الشعر العربي: الدكتور إبراهيم خليل.
٣. مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية: الدكتور عثمان جمعة ضميرية.

ومن الموضوعات التي توسعوا فيها بشكل كبير ما جاء على منوال (التصانيف الأربعينية) قال النووي (ت ٦٧٦ هـ): "وقد صنف العلماء رضي الله عنهم في هذا الباب ما لا يُحصى من المصنفات، فأول من علمته صَنَّف فيه هو عبد الله بن المبارك، ثم محمد بن أسلم الطوسي العالم الرباني، ثم الحسن بن سفيان النسائي، وأبو بكر الآجري، وأبو محمد بن إبراهيم الأصفهاني، والدارقطني، والحاكم، وأبو نعيم، وأبو عبد الرحمن السلمي، وأبو سعد الماليني، وأبو عثمان الصابوني، وعبد الله بن محمد الأنصاري، وأبو بكر البيهقي، وخلائق لا يُحصون من المتقدمين والمتأخرين^(١)."

ثم تتابع على هذا المنوال في شتى التخصصات والموضوعات ما يعسر ذكره، فعلى سبيل المثال:

١. أربعون حديثاً في شرف العلم وحملته: سراج الدين البلقيني.
٢. أربعون حديثاً مشهورة ضعيفة أو لا أصل لها: الدكتور عبد العزيز مختار إبراهيم الأمين.
٣. أربعون حديثاً من جوامع الكلم: ملا علي القاري.
٤. الأربعون في السيرة النبوية: الدكتور عادل بن علي الشدي وحمد عبد الرحيم العربي.
٥. الأربعون القدسية الضعيفة والموضوعة: جمعاً ودراسة: الدكتور عبد العزيز مختار إبراهيم.
٦. الأربعين في فضائل الصحابة: الدكتور عبد الله بن صالح العبيد. وهكذا.

ومما يُذكر في مثل هذا ما ذكره الشيخ محمد ابن الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي قال: "ومن الأشياء التي تُذكر في هذا الموضوع أن الأطباء طلبوا إلى الوالد وهو في فترة العلاج - في لبنان - عدم القراءة أو الكتابة؛ لأن ذلك يتطلب إشغال الفكر وبذل الجهد، وهذا يؤثر في صحته، ويُؤخر شفاءه من المرض، ولما كان الوالد في المستشفى اطلعت في إحدى المكتبات على كتاب بعنوان "دع القلق وابدأ

الحياة"؛ للمؤلف الأمريكي "ديل كارنيجي"، وهو مدير معهد تدريب بأمريكا، فأعجبت به فقررت شراءه وإهداءه للوالد، فقرأ الكتاب كاملاً، وأعجب به أيضاً ومؤلفه، وقال: إنه رجل مُنصفٌ. ثم أرسل الوالد أبا عبود - صديق الشيخ - إلى سوق عالية، وقال له: "اشترِ أوراقاً وأقلاماً"، وكان في نية الوالد تأليف رسالة على ضوء كتاب "دع القلق وابدأ الحياة"، وهي صغيرة الحجم، كبيرة المعنى، عظيمة النفع، وقد سماها "الوسائل المفيدة للحياة السعيدة"، وهي تهدف إلى تحقيق السعادة للإنسان بالطرق الشرعية، وعلاج الاكتئاب والأمراض النفسية المختلفة^(١).

رابعاً: سؤال أهل العلم والتخصص

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، وعن المغيرة: قيل لابن عباس: أتى أصبت هذا العلم؟ قال: "لسان سؤال، وقلب عقول"^(٢). والسؤال هنا يكون لمن هو أعلم منك وأخبر، فهؤلاء سلكوا الطريق قبلك وتجاوزوك بمراحل، فبسؤالهم ستختصر على نفسك الوقت والجهد، وربما ستتجاوز تلك الصعوبات والعقبات التي وقع فيها غيرك. ومن فوائد سؤال أهل العلم أيضاً أنك تقف معهم حيث وقفوا، وتستمر معهم حيث توقفوا، فلا تكرر ما صنعوا، ولا تبحث فيما بحثوا.

تحدث مع غيرك من أهل التخصص ولازمهم، وفكر معهم بصوت مرتفع، وكذلك مع أقرانك، وحتى مع من تظن أنهم دونك علماً أو سناً؛ فقد تستفيد ممن هو دونك فوائد لا تجدها عند غيره.

خامساً: استشراف المستقبل

يقال: إن "الحاجة أم الاختراع"، وهذا صحيح، لكن الباحث الشغوف قد يسبق الحاجة، بمعنى أنه يطرح التساؤلات والافتراضات التي ربما لم تخطر على بال أحد، فيسبق الزمان ويبحث في موضوع قبل ظهور الحاجة للبحث فيه، أو ما زالت المشكلة في بداياتها ولم يتنبه إليها أحد، فإعمال العقل في استشراف الحاجات المستقبلية يولد أفكاراً مبتكرة وإبداعية.

ومما يذكر في باب الاستشراف ما صنعه الإمام الراشد عمر بن عبد العزيز رحمه الله حينما استشراف الحاجة لتدوين السنة النبوية لما خاف أن يندرس العلم وأهله، فعن عبد الله بن دينار قال: "كتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن حزم: انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكتبه؛ فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء..."^(٣).

(١) مواقف اجتماعية من حياة الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله تعالى، ١٢٩.

(٢) أبو الفرج ابن الجوزي، صفة الصفوة، ٢٩٥/١.

(٣) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم، ٣١/١.

وعن ابن شهاب الزهري، قال: "أمرنا عمر بن عبد العزيز بجمع السنن، فكتبناها دفترًا دفترًا، فبعث إلى كل أرض له عليها سلطان دفترًا"^(٤).

سادسًا: البحث فيما يُطرح من خلال النقاشات والأسئلة والاستشكالات

كثير من البحوث العلمية كانت بداياتها تساؤلات فضولية ونظرة نقدية للأشياء من حولنا، وكثير من هذه الأمور تحدث لنا جميعًا في واقع حياتنا، سواء على مستوى المعرفة العامة أو التخصصية، ولكن لا يتنبه لها إلا من أوتي دقة ملاحظة وعود نفسه على نقد وتحليل ما يشاهده وما يقرؤه ويسمعه، وكلنا سمعنا بقصة "نيوتن والتفاحة" وكيف أثار حدث سقوط التفاحة فضوله العلمي، وهذا بالضبط ما ينبغي أن يستحضره الباحث حين بحثه وقراءته في تخصصه، أو حتى في نقاشاته العامة والخاصة، فَرُبَّ نقاش في التخصص وفي غيره قاد صاحبه إلى موضوع مبتكر لم يُسبق إليه، ومن الأمثلة على ذلك:

ما ذكره ياقوت الحموي في كتابه "معجم البلدان"؛ حيث قال رحمه الله: "وكان من أول البواعث لجمع هذا الكتاب، أنني سُئِلْتُ بِمَرَّةٍ الشاهجان في سنة خمس عشرة وستمائة في مجلس شيخنا الإمام السعيد الشهيد فخر الدين أبي المظفر عبد الرحيم ابن الإمام الحافظ تاج الإسلام أبي سعد عبد الكريم السمعاني، تَغَمَّدَهما الله برحمته ورضوانه؛ عن (حباشة) اسم موضع جاء في الحديث النبوي، وهو سوق من أسواق العرب في الجاهلية، فقلت: أرى أنه حُبَاشَة بضم الحاء؛ قياسًا على أصل هذه اللفظة في اللغة؛ لأن الحباشة: الجماعة من الناس من قبائل شَتَّى، وَحَبَشْتُ لَهُ حَبَاشَة؛ أي: جمعت له شيئًا. فانبرى لي رجلٌ من المحدثين وقال: إنما هو حَبَاشَة بالفتح، وصمَّم على ذلك وكابَّر، وجاهر بالعناد من غير حِجَّةٍ وناظر، فأردتُ قطع الاحتجاج بالنقل؛ إذ لا معوّل في مثل هذا على اشتقاق ولا عقل، فاستعصى كشفه في كتب غرائب الأحاديث، ودواوين اللغات، مع سَعَةِ الكتب التي كانت بِمَرَّةٍ يومئذٍ، وكثرة وجودها في الوقوف، وسهولة تناولها، فلم أَظْفَرْ به إلا بعد انقضاء ذلك الشَّعْبِ والمرء، ويأس من وجوده ببحث واقتراء، فكان موافقًا والحمد لله لما قلته، ومكيلاً بالصاع الذي كلته، فألقي حينئذٍ في روعي افتقارُ العالم إلى كتاب في هذا الشأن مضبوطًا، وبالإتقان وتصحيح الألفاظ بالتقيد مخطوطًا؛ ليكون في مثل هذه الظُّلْمَة هاديًا، وإلى ضوء الصواب داعيًا، ونُبِّهْتُ على هذه الفضيلة النبيلة، وشرح صدر لي ليل هذه المنقبة التي غفل عنها الأولون، ولم يهتد لها الغابرون"^(١).

(٤) ابن عبد البر القرطبي، جامع بيان العلم وفضله، ٣٣١.

(١) معجم البلدان، ١٠/١.

سابعاً: تحديد مجال البحث وجمع موضوعات الدراسات السابقة

هذه الطريقة مرتبة وناجحة جداً في البحث عن ثغرات بحثية، والمهم في هذه الطريقة هو أن تحدد مجال البحث أو الجزئية الصغيرة التي تود بحثها تحديداً دقيقاً، وبعد تحديد المجال البحثي قم بعملية مسح لجميع الموضوعات التي كُتبت حول هذا الموضوع، وهو ما يسمى في العرف البحثي (الدراسات السابقة)، فتدون هذه الموضوعات متسلسلة بدون أي تفاصيل أخرى (الموضوعات فقط)، بعد ذلك صنفها وضم المتشابه إلى بعضه، مثل أن تجد بحثين أو أكثر يتحدثان عن حقبة زمنية واحدة، أو بحثين أو أكثر يتحدثان عن إمام من الأئمة، أو بحثين أو أكثر يتحدثان عن نفس المصطلح، المهم أن تجمع كل ما يمكن أن يمثل وجهًا من أوجه التشابه في مكان واحد، بعد هذا تأمل في هذه التصنيفات ستجد أنك أشرفت على الموضوعات من مرتفع وتستطيع تحديد موضوع بحثي لم يُطرق من قبل، وربما يكون مميّزًا ومبتكرًا.

فمثلاً لو أننا نريد الحديث عن شبهات منكري السنة النبوية، فإننا بنظرة اجمالية سنحكم بأنه لا مجال في إيجاد موضوع مبتكر، فقد أجاد الباحثون وأثروا هذا الجانب، ولكن حينما نجمع ما كُتب من أبحاث ودراسات ثم نحاول تصنيفها بحسب الحقبة الزمنية أو بحسب الشبهة أو بحسب البقعة الجغرافية أو بحسب أصحاب الشبهات من مستشرقين وقرآنيين وغيرهم، فإنه سيتبين لنا أن هناك ثغرة لم تُبحث بعد، أو لم تُخدم بالشكل المطلوب، وكيفيك من هذه الطريقة أنك تحيط بالدراسات والأبحاث التي تناولت هذه الجزئية، وهذا يجد ذاته علم مستقل.

يقول محمد بن عبد الله العرناطي الأندلسي الشهير بلسان الدين بن الخطيب، صاحب كتاب "الإحاطة في أخبار غرناطة" - رحمه الله - في سبب تأليف كتابه هذا: "فتذكرت جملةً من موضوعات من أفرد لوطنه تاريخاً؛ كـ"تاريخ مدينة بُخارى" لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن سليمان الفخار، و"تاريخ أصبهان" لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الحافظ صاحب الحلية، و"تاريخ أصبهان" أيضاً لأبي زكريا يحيى بن عبد الوهاب بن قندة الحافظ، و"تاريخ نيسابور" للحاكم أبي عبد الله، فداخلتني عصبية لا تقدح في دين ولا منصب، وحمية لا يُدْم في مثلها متعصب، وجعلت هذا الكتاب قسمين، ومشتماً على فئتين: القسم الأول في حلى المعاهد والأماكن، والمنازل والمساكن، والقسم الثاني في حلى الزائر والقاطن، والمتحرك والسكن" (١).

فانظر إليه بعد أن استحضر من كتب في تواريخ البلدان (الدراسات السابقة) وجد ثغرة جغرافية في بلده، فعزم وشمّر وكتب كتاباً أسماه "الإحاطة في أخبار غرناطة".

(١) الإحاطة في تاريخ غرناطة، ٥/١.

ثامناً: البحث عن الموضوعات في غير مظانها

تحدثنا في المبحث الثاني من الفصل الثاني عن مسألة البحث عن الموضوعات البحثية في مظانها، وهذا هو الأمر الطبيعي والبحث التسلسلي والنظرة الأولى التي تخطر على تفكير كل باحث يريد البحث في موضوع ما، أن يبحث في الكتب والمراجع التي تخصصت واشتهرت بذلك الفن، أو الفرع الذي يريد البحث فيه، وَقَلَّ من يلتفت إلى تلك الكتب التي لم تُصنَّف ضمن ذاك الفرع العلمي الذي يقصده، فمثلاً من يريد البحث في علل الحديث فغالبًا يصب تركيزه على كتب العلل المشهورة؛ ككتاب علل الحديث ومعرفة الرجال لعلي بن المديني (ت ٢٣٤هـ) أو العلل ومعرفة الرجال للإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) أو علل الترمذي الكبير (ت ٢٧٩هـ) أو علل الحديث لابن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ) أو العلل للدارقطني (ت ٣٨٥هـ) أو غيرها، وقد يغفل بعض الباحثين عن النظر في الكتب التي هي مظان للأحاديث المعللة أيضاً؛ ككتب التراجم، مثل:

١. تواريخ البخاري (ت ٢٥٦هـ).
٢. الضعفاء للعقيلي (ت ٣٢١هـ).
٣. الكامل لابن عدي (ت ٣٦٥هـ).

أو كتب السؤالات، مثل:

١. سؤالات تلامذة أحمد له، كابنه صالح وعبد الله، وكأبي داود والمروزي وابن هانئ وغيرهم.

٢. سؤالات تلامذة الدارقطني له، كالبرقاني والسهمي ويحيى بن بكير والحاكم وغيرهم.
- أو كتب تواريخ البلدان والمدن، مثل:

١. تاريخ بغداد للخطيب (ت ٤٦٣هـ).
٢. تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (ت ٥٧١هـ).

كذلك يمكن البحث في الأحاديث التي أهلها الفقهاء وعمل دراسة ومقارنة لمنهج الفقهاء والمحدثين والبحث في الأسباب والأثر، وغير ذلك.

في المحصلة لا بد من النظر بأكثر من باب وفن من أبواب العلم في التخصص الواحد، فهذا يعين الباحث على اكتشاف فكرة ما ينطلق منها.

تاسعاً: أحداث الساحة والنوازل وما يستجد من الأحداث

ينبغي على الباحث أن يكون له اطلاع على ما يجري من حوله من أحداث في هذا العالم، سواء على الصعيد الدولي أو المحلي، أو حتى على مستوى المدينة والحى والأسرة، فالعلوم مترابطة، وما يحدث

هنا وهناك لو تأملت فيه قليلاً لوجدت هناك علاقة وابطاً يربط بين تخصصك العلمي وبين ما يدور من حولنا، فالنوازل الاقتصادية والأحوال الاجتماعية والمعارك السياسية والكوارث البيئية والنزاعات البشرية بأنواعها كل هذا وغيره له ارتباط بتخصصك قل أو كثر، وخصوصاً علوم السنة النبوية؛ لأنها تمثل السيرة العطرة الشاملة لجميع جوانب الحياة، ولعل هذا الجانب مهم جداً لمن أراد البحث في مجال الحديث الموضوعي، فيستطيع أن يربط حدثاً ما ويوصل له من خلال السنة النبوية، أو إبراز الهدي فيه ليظهر أن السنة النبوية سبقت غيرها، وأنها شاملة لجميع جوانب الحياة المختلفة، وكذلك إثبات أن السنة قادرة على استيعاب مستجدات الحياة وأنها صالحة لكل زمان ومكان.

ومن الأمثلة على ذلك

أولاً: حينما ضربت الأزمة الاقتصادية كثيراً من الدول العظمى توالى الأبحاث بشكل متسارع، فقد تناول الباحثون هذه الأحداث في كثير من التخصصات، فالحدث ليس اقتصادياً فحسب كما يعتقد البعض، ولكن له تبعات وآثار، ويحمل أبعاداً في التخصصات الأخرى؛ سياسياً وشرعياً واجتماعياً واخلاقياً وغير ذلك. وقد تناول الباحثون هذه النازلة كل فيما يخصه ويعنيه، فأما الجانب الاقتصادي فكثرت الأبحاث حوله، ووجه الترابط واضح، فلا داعي للتمثيل له، ولكن تنبّه لهذا بعض المتخصصين في غير الاقتصاد، فتناول الشرعيون هذه الأزمة من منظور شرعي وحاولوا طرح حلول إسلامية لحل الأزمة، وبينوا أثر التعامل بالربا وغيره من المعاملات المحرمة في عدم الاستقرار المالي، وتناول السياسيون والاجتماعيون وغيرهم أثر هذه الأزمة، والوسائل المثلى لتفادي أثرها الاقتصادي والسياسي والاجتماعي.

ثانياً: بعد ثورة الاتصالات بدأت الرسائل الدعوية وغيرها بالانتشار، وأصبح بعض الناس يتناقلونها دون تثبّت؛ فمنها الصحيح والضعيف والموضوع، فبرزت الحاجة لدراسة هذه الظاهرة وبيان أسبابها وطرق علاجها، فكتب الأستاذ الدكتور عمر المقبل بحثاً محكّماً بعنوان: "انتشار الأحاديث الضعيفة عبر وسائل الاتصال الحديثة: المظاهر، الأسباب، العلاج"، وكتب أيضاً بحثاً بعنوان: "الإجازات الحديثة وضوابطها في وسائل التواصل الاجتماعي الحديثة"^(١). والأمثلة كثيرة.

عاشراً: كتابة واستعراض قوائم من العناوين المقترحة

ومما يعين الباحث على ابتكار الموضوعات البحثية اقتناء كراسة خاصة بعناوين الأبحاث فقط، يسجل فيها الموضوعات الجديدة، سواء التي طُرحت وُجِدت أو التي طرأت عليه، ولكن يحرص على تصنيفها، بمعنى أن يفصل بين الموضوعات الجديدة والقديمة، ويفصل بين تخصصاتها الدقيقة، فمثلاً

(١) رسالة ماجستير للباحث أسامة بديع سعيدان، كلية العلوم الإسلامية، جامعة المدينة العالمية ١٤٣٥هـ، ماليزيا.

يفصل الأبحاث المتعلقة بعلم المتن عن علل الإسناد، والأبحاث المتعلقة بالمصطلح عن الأبحاث المتعلقة بفقهاء الحديث، وهكذا، ويمكن أن يستعين بالتصنيف الذي ذكرناه في البداية عند الحديث عن دواعي التصنيف، أو بقائمة تصنيف الأبحاث الآتية، وهي قائمة خاصة اجتهدت في تصنيفها حسب ما ظهر لي، وبإمكان الباحث أن يصنف الأبحاث حسب رغبته، المهم أن يتم تدوينها باستمرار، فهذا الاهتمام وهذه الطريقة تعين الباحث على الإحاطة ومتابعة الجديد والمقارنة، وتتنامى لديه ملكة ابتكار الموضوعات البحثية وكيفية اقتناصها.

تصنيف مقترح للأبحاث

١	البحث في مناهج المحدثين ودراساتها وأثرها والمقارنة بينها من داخل التخصص ومن خارجه.
٢	البحث في فقه الحديث والاختلاف وأثره وأسبابه الحديثية.
٣	البحث في علل الإسناد أو المتن؛ القواعد والشروط والضوابط والمقاييس والمصطلحات والتعريفات.
٤	البحث في المصطلحات؛ تاريخها ونشأتها ومدلولاتها وأثر الاختلاف في تعريفاتها وتطبيقاتها.
٥	البحث في علم الجرح والتعديل؛ مصطلحاته وأئتمته ومناهجهم وتطبيقاته وأثره في التخصص وفي غيره.
٦	البحث في الشبهات والردود؛ تاريخها وأسبابها ومصادرها وأثرها والرد عليها.
٧	الموسوعات الموضوعية.
٨	البحث الموضوعي (جمع ودراسة وتخريج).
٩	جهود محدث ما، أو جهود المحدثين في حقبة زمنية، أو جهود العلماء غير المشهورين بالحديث.
١٠	أثر علم الحديث في العلوم الأخرى، أو في الفرد أو الأسرة والمجتمع.
١١	شرح الأحاديث وبيان أحكامها الحديثية والفقهية والعقدية وغيرها.
١٢	مقارنة بين الدراسات والكتب، أو بين المحدثين، أو مقارنة بين المحدثين وغيرهم من الفقهاء والأصوليين، أو مقارنة زمانية أو مكانية.
١٣	جمع الفوائد الحديثية لعالم ما ومقارنتها وتحليلها والتعليق عليها.
١٤	نقد واستدراك على المؤلفات والكتب القديمة والحديثة.
١٥	معاجم المصطلحات العلمية.
١٦	مختلف الحديث عند عالم ما حول كتاب معين، أو دراسة جميع كتبه ومقارنتها بغيره.

١٧	إيجاد علاقة معرفية بين التخصصات المختلفة وعلوم الحديث، كدور السنة وأثرها في معالجة (مشكلة ما).
----	--

حادي عشر: التفكير بطريقة غير مألوفة

التفكير هو الأساس الذي لا يفارقنا في جميع المراحل التي سنسلكها في طريقنا لابتكار موضوع بحثي، فبدون أن يجهد الباحث عقله في التفكير لن يصل إلى مبتغاه، فجميع الموضوعات البحثية لم تخلق نفسها بنفسها، وإنما جاءت بعد حاجةٍ وتفكيرٍ وبحث، وقد بذل العلماء جهدهم في هذا، يقول ابن الجوزي عن ابن عقيل: "كان دائم التشاغل بالعلم، حتى إني رأيت بخطه: إني لا يحل لي أن أضيع ساعة من عمري، حتى إذا تعطل لساني عن مذاكرة ومناظرة، وبصري عن مطالعة؛ أعمل فكري في حال راحتي وأنا مستطرح، فلا أنفض إلا وقد خطر لي ما أسطره، وإني لأجد من حرصي على العلم وأنا في عمر الثمانين أشد مما كنت أجده وأنا ابن عشرين"^(١).

فانظر إلى هذا العالم الجليل كيف يصور لنا همته العالية، وكيف يُعملُ عقله وذهنه في التفكير حتى وهو مستلقٍ على فراشه، فتتولد لديه خواطر وأفكار من جراء هذا الجهد الذهني فينهض لتقييمها. لكن مما يجدر بالذكر هنا أنه ينبغي علينا أن نفكر بطريقة غير مألوفة حتى نخرج بموضوع مبتكر، بمعنى ألا نكرر نفس الأسلوب والطريقة التي نفكر فيها في كل مرة، أو يفكر بها الآخرون، ففي كل مرة نفشل فيها في ابتكار موضوعٍ ما فإنه ينبغي علينا أن نغير أو نحدد من أسلوبنا في التفكير حتى نخرج بنتائج مختلفة ومبتكرة.

يقول أينشتاين: "من غير المنطقي أن تفعل نفس الشيء وب نفس الطريقة وتوقع نتيجة مختلفة"^(١). ومن ذلك التفكير خارج الصندوق؛ كما يقال، ومثال ذلك التفكير في غير نطاق تخصصك، والبحث عن علاقات علمية تربط بين تخصصك وتخصصات أخرى.

الفصل الثالث: مهارات تدريبية

المبحث الأول: دمج التخصصات المختلفة مع علوم الحديث

قبل الحديث عن الابتكار من خلال "دمج التخصصات المختلفة بعلوم الحديث" ينبغي علينا أن نبين العلاقة بين علوم الحديث والتخصصات المختلفة من حولنا، فالحديث الشريف هو عبارة عن نقل لأقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته وهيئته الخلقية والخلقية، وذلك في جميع جوانب

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ١٧/١٨١.

(١) انظر كتاب: افعَل شيئًا مختلفًا، عبد الله علي العبد الغني، الإبداع الفكري، ط الأولى ١٤٢٦هـ.

(٢) صيد الخاطر، ص ٧٠٥.

الحياة العامة والخاصة، وهذا يعني أننا أمام كمية هائلة من العلوم والمعلومات المختلفة والمتنوعة، فلا يوجد أحد في العالم نُقِلَ إلينا عنه مثل ما نُقِلَ عن نبينا صلى الله عليه وسلم، سواء في الجوانب الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية أو الإدارية، بل وحتى في الجوانب الأسرية الخاصة التي لا يطلع عليها إلا أهل بيته، ليكون صلى الله عليه وسلم قدوةً لنا وأُسوةً في جميع جوانب الحياة، فإذا عُلِمَ هذا فإن أي مجال أو تخصص لا بد وأن تجد له علاقة بعلم الحديث، وبالهدي النبوي، من قريب أو بعيد، وهكذا بقية العلوم؛ فإن بينها ترابطاً وتداخلاً مع العلوم الأخرى كلٌّ بقدره، وهذا التداخل يعطينا بعداً شمولياً للحديث الشريف، ويتيح لنا الاطلاع على العلوم الأخرى، وتوسيع الدائرة الثقافية والبحثية، وهذا بلا شك له أثره الإيجابي في الباحث وفي التخصص، يقول ابن الجوزي: ينبغي لكل ذي علم أن يساهم بباقي العلوم، فيطالع منها طرفاً؛ إذ لكل علمٍ بعلمٍ تعلُّقٌ^(١). وهذا الترابط موجود من قبل؛ فقد تفنن به علماؤنا في القديم والحديث، فعلى سبيل المثال: (ممارسة النقد الحديثي) يلزمه معرفة بالرجال والتاريخ.

يقول الإمام سفيان الثوري: "لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ"^(٢). ويشير الدكتور عبد الكريم بكار إلى هذا النوع من الترابط فيقول: "إن وجود فكرة تربوية في كتاب تاريخي يعني نوعاً من الامتداد التربوي في العمق التاريخي، أو يعني نوعاً من التأطير التاريخي لمغزى تربوي، وهذا يعطينا دائماً لوناً من ألوان توحيد المعرفة، وإعادة الربط بين فروعها وأجزائها، وهذا ضروري جداً للفهم الشامل، وتوسيع الأفق، بل والمعالجة الحكيمة أيضاً للموضوع الذي نقرأ؛ من أجل إثراء خبرتنا فيه"^(٣). وبناءً عليه فإننا سنستخرج الكثير والكثير من الموضوعات المبتكرة من خلال هذا الترابط المعرفي بين سائر العلوم، وهنا يكمن الإبداع، يقول سميث (١٩٥٩م): "إن العملية الإبداعية هي التعبير عن القدرة على إيجاد علاقات بين أشياء لم يَسْبِقْ أن قيل: إن بينها علاقات"^(٤).

أمثلة تطبيقية

قبل أن نضرب أمثلة تطبيقية على هذا فإننا ننبه على أمر مهم جداً، وهو أن إيجاد علاقة بين التخصصات المختلفة لا بد أن يصحبه معرفة بأصول العلوم الأخرى، بمعنى لو أننا عزمنا على إيجاد

(١) مقدمة ابن الصلاح، ص ٣٨٠.

(٢) القراءة المثمرة مفاهيم وآليات، ص ٤٧.

(٣) افعل شيئاً مختلفاً، عبد الله علي العبد الغني، الإبداع الفكري، ط الأولى ١٤٢٦هـ.

علاقة بين علم الحديث وعلم الاقتصاد فلا بد أن تكون لدينا أدنى درجات المعرفة بعلم الاقتصاد، وهكذا بقية العلوم.

كما أن هناك تخصصاتٍ قريبة من تخصص الحديث، وهي بقية العلوم الشرعية؛ كالفقه وأصوله والتفسير وعلومه والعقائد والفرق، فعملية إيجاد علاقة بين هذه العلوم أسهل مما لو توسعنا في دائرة البحث وبحثنا في علوم أخرى قد لا تتضح لنا فيها صورة العلاقة من أول وهلة، فهل من الممكن أن نجد علاقة بين علم الحديث والهندسة مثلاً؟ أو بين علم الحديث والفيزياء أو الرياضيات أو الفلك؟ كل هذا قد يكون أمراً مستحيلاً في بادئ الأمر، ولكن كلما زادت معرفتك في العلم الخارجي كلما استطعت أن تجد علاقة بينه وبين تخصصك.

نعم قد تتفاوت تلك العلاقة بين علم وآخر كما تتفاوت علاقة الناس بعضهم ببعض، فهناك علاقات متينة وقوية، وهناك علاقات ضعيفة وسطحية، وكلما زادت معرفتنا بالعلوم الأخرى كلما استطعنا تحديد حجم العلاقة بين تلك العلوم وعلم الحديث، وسنرى الآن كيف تتداخل العلوم وكيف نستطيع ابتكار وتوليد الموضوعات البحثية. ومن أسهل الطرق لدمج التخصصات النظر في مصطلحات العلوم الأخرى، ومحاولة إيجاد ترابط بينها وبين علوم الحديث.

وحتى نتصور هذا التداخل بين تلك العلوم المختلفة؛ سنضرب أمثلة لبعض التخصصات من باب التمثيل فقط، وعلى القارئ أن يقيس عليها ويتوسع في تطبيقاتها.

المثال الأول: في العقيدة: حجية السنة النبوية عند الفرق والمذاهب الفكرية المعاصرة، دراسة مقارنة.

المثال الثاني: أصول الفقه: الأحاديث التي حكم عليها الحافظ بالنسخ من خلال كتابه "فتح الباري".

المثال الثالث: في الفقه: اختلاف الروايات الواردة في صفة سجود السهو وأثرها في اختلاف الفقهاء.

المثال الرابع: في التفسير وعلومه: الأحاديث الواردة في أسباب النزول من خلال الصحيحين.

المثال الخامس: في اللغة العربية: تطبيقات المحدثين لقواعد اللغة العربية في نقد الأحاديث النبوية.

المثال السادس: في علم الاجتماع: الهدى النبوي في معالجة المشكلات الزوجية.

المثال السابع: في علم التربية: المراقبة الذاتية؛ أهميتها ووسائل تعزيزها، قراءة استقرائية من خلال نصوص السنة النبوية.

المثال الثامن: في علم النفس: الانفعالات النفسية ووسائل معالجتها، دراسة تطبيقية على نصوص السنة النبوية.

المثال التاسع: في علم الإدارة: الاستشراف والتخطيط المستقبلي في السنة النبوية.

المثال العاشر: في علم الطب: العلاج الوقائي في السنة النبوية.

المثال الحادي عشر: في علم الفلك: الأحاديث الواردة في ملكوت السماوات والأرض وأثرها في إثبات نظريات علم الفلك.

المثال الثاني عشر: في علم التاريخ: علم التاريخ وأثره في نقد الحديث الشريف.

المثال الثالث عشر: في علم الاقتصاد: الأحاديث الواردة في الاحتكار؛ جمعاً ودراسةً.

المثال الرابع عشر: في علم النباتات: الأحاديث الواردة في أسماء النباتات وأنواعها وفوائدها.

المثال الخامس عشر: في علم السياسة: تنظيم العلاقة بين الحاكم والمحكوم، دراسة تحليلية من خلال نصوص السنة النبوية.

المثال السابع عشر: في علم الرياضة البدنية: عناية السنة بالتربية البدنية والرياضية؛ دراسة موضوعية.

كل ما ذكر من أمثلة هو لبيان مدى العلاقة التي يمكن أن تكون بين تلك العلوم المختلفة وعلم الحديث الشريف، والأمثلة على ذلك كثيرة ومتفرعة ولا تنتهي، ويُفترض أن الصورة اتضحت للقارئ الكريم ولم يبقَ أمامه إلا التطبيق العملي.

المبحث الثاني: البحث بطريقة الموضوعات المستحسنة مع استبدال بعض الألفاظ

أحياناً يشد انتباهك موضوعٌ ما، أو تكون رؤيتك ورغبتك فيما تود الكتابة عنه واضحة وجلية بالنسبة لك، فقد ترغب مثلاً في الكتابة عن مناهج المحدثين في بعض مسائل علوم الحديث، وفي هذه الحالة تكون قد اختصرت على نفسك نصف المشوار في رحلة البحث عن موضوع، فوضوح الرؤية والرغبة تقودك مباشرة للبحث في المكان السليم.

بداية أكتب صياغة ترضاها لموضوع البحث، ومثال لذلك: منهج الإمام البخاري في التعليل من خلال كتابه "التاريخ الكبير".

لكن عند البحث سنجد أن هذا الموضوع قد طُرِقَ من قبل، وسُجِّلَ كأطروحة لنيل درجة الدكتوراه في الحديث الشريف وعلومه جامعة اليرموك في الأردن.

حينها سنضطر لاستبدال بعض الألفاظ في الموضوع لنخرج بنتائج مختلفة. حاول أن تستحضر أئمة الحديث في القديم والحديث ثم دوّن كل ما تستحضره بكراسة خارجية، بعد ذلك قُم باستبدال

الإمام البخاري بغيره، وسنضطر حينها لاستبدال الكتاب أيضًا، وقد يكون للإمام الذي اخترته أكثر من كتاب، وهذا يفتح لك المجال لدراسة منهجه بصورة أوسع من خلال بعض مصنفاته أو كلها، فقد يكون له طريقة سلكها في بداية حياته مختلفة عن آخرها، وهذا وُجد عند بعض الأئمة، كذلك تستطيع استبدال كلمة "التعليل" بأي كلمة من مباحث أو مصطلحات الحديث، مثلاً: (منهج الإمام البخاري في توثيق السنة من خلال الصحيح). وهكذا.

المبحث الثالث: البحث بطريقة فهارس الموضوعات

ونعني به فهارس الموضوعات للرسائل والدراسات ذات الصلة، وهي طريقة للوصول إلى التخصصات أو الموضوعات الدقيقة، فقراءة العناوين الرئيسة وحدها لا تكفي، فالموضوعات البحثية المتميزة التي تحمل طابع التخصص هي تلك الموضوعات التي تكون عميقة وفي جزئية صغيرة من جزئيات التخصص.

وهذه الموضوعات تدل في الغالب على تمكن الباحث من تخصصه، فمن كانت كل أبحاثه في عموميات التخصص فهذا ليس متمكناً من تخصصه بما فيه الكفاية، ومن كانت أكثر أبحاثه في جزئيات صغيرة في التخصص فهذا مؤشر على فهمه لتخصصه وتمكنه منه، وهذا الأخير هو أسرع وأقدر على الابتكار في تخصصه من الأول.

وسنضرب مثلاً على طريقة البحث في فهارس الموضوعات:

الخطوة الأولى: اختر لنفسك أي موضوع تود الكتابة فيه، وليكن مثلاً في (التفرد) ثم حاول أن تجمع بعض الدراسات في هذا الموضوع، وسنختار مثلاً:
"التفرد في رواية الحديث ومنهج المحدثين في قبوله ورده - دراسة تأصيلية تطبيقية": د. عبد الجواد حمام.

الخطوة الثانية: هي استعراض الفهارس، ومن ثم البحث عن موضوعات أدق تندرج تحت الموضوع العام الذي سنكتب فيه، فمثلاً في الكتاب السابق نجد أن المؤلف تكلم عن:
أسباب التفرد وأنواعه وأثر التفرد في الجرح والتعديل وضوابط قبول التفرد وغير ذلك، فمن خلال هذا الاستعراض تبين لنا أننا دخلنا في العمق قليلاً، ثم نكرر نفس الطريقة من خلال تطبيقها على المستخرجات الأخيرة، فمثلاً سنحدد موضوعاً واحداً من هذه الموضوعات، وليكن أسباب التفرد، فسنبحث عن أبحاث حول أسباب التفرد، وبالرجوع مثلاً إلى نفس المصدر سنجد ذكر سبعة أسباب للتفرد، وهي:

١. خصوصية الصحابة.
٢. عدم شهرة المروي عنه.

٣. الوهم والخطأ.

٤. الرواية بالمعنى.

٥. الكذب والوضع وسرقة الأحاديث.

٦. التدليس.

٧. الإدراج.

فبإمكاننا حينها صياغة عنوان مقترح، فنقول مثلاً:

"الأحاديث التي حُكِمَ عليها بالتفرد بسبب الرواية بالمعنى"

فتحدد كتاباً معيناً، أو مجموعة كتب مترابطة، أو أحد الأئمة النقاد، أو تقتصر على نماذج متفرقة، وهكذا.

فهذه الطريقة على سهولتها إلا أنها نافعة ومنضبطة، والسبب أنها تدلك على الفجوات البحثية التي لم تُبحث بعد، أو الدراسات فيها قليلة، كذلك هي تدلك على دقائق موضوعات التخصص.

المبحث الرابع: تخصيص العام وتعميم الخاص

من الوسائل والممارسات المفيدة في رحلة البحث عن موضوع مناسب: النظر في حدود البحث، فهناك بعض الدراسات تتناول حقبة زمنية معينة في دراسة صغيرة، بينما تجد بعض الدراسات توسعت فتناولت حقبة زمنية كبيرة، ففي الحالة الأولى نحتاج إلى توسيع دائرة البحث لنخرج بموضوع مناسب، بينما في الحالة الثانية نحن بحاجة إلى تضيق دائرة البحث، وكل ذلك يرجع إلى الغرض من موضوع الدراسة وحجم الرسالة التي نريدها، إلى غير ذلك.

وأحياناً تتناول الدراسة بقعة جغرافية صغيرة، أو أحد الأئمة، أو إحدى الفرق، أو مصطلحاً علمياً واحداً، فحينها ننظر في إمكانية توسيع الدائرة والعكس.

وكذلك قد تقتصر الدراسة على كتاب واحد، ففي هذه الحالة يمكن تناول كتاب آخر أو مجموعة من الكتب.

مثال ذلك:

١. رسالة ماجستير بعنوان (الحديث المضطرب؛ دراسة وتطبيق على السنن الأربع)، يمكن تناول نفس الفكرة والموضوع على مسند الإمام أحمد.

٢. رسالة ماجستير بعنوان (آراء محمد رشيد رضا في قضايا السنة النبوية من خلال مجلة المنار)، يمكن استبدال محمد رشيد رضا بغيره مع تغيير الكتاب.

٣. رسالة دكتوراه بعنوان (الاتجاهات المعاصرة في دراسة السنة النبوية في مصر وبلاد الشام)، يمكن استبدال العنوان بتناول بلد آخر مثل السعودية، أو بلدان أخرى كدول المغرب العربي.

المبحث الخامس: البحث المقارن

يُعد منهج البحث المتبع بمثابة الطريق السليم الذي يمكن الباحث من تحقيق أهدافه من البحث وإكماله على الوجه المطلوب، فهو كالطريق التي يسلكها السائق للوصول إلى وجهته، وبناءً على ذلك لا بد من اختيار منهج مناسب لطبيعة الدراسة التي يقوم ببحثها. من هذه المناهج المنهج المقارن، كأن يعتمد الباحث إلى مقارنة ظاهرتين أو فكرتين ببعضهما البعض، أو بغيرهما، والهدف هو اكتشاف أوجه الاتفاق والاختلاف بينهما ومناقشة ذلك مع الترجيح إن لزم الأمر، وتكثر مثل هذه الدراسات في مجال الفقه، مثل المقارنة بين الفقه الإسلامي وقوانين بعض البلاد في جزئية ما (مثلاً) أو عمل مقارنة ومناقشة للأحكام الفقهية على مستوى المذاهب أو البلدان أو الأئمة.

أما في علم الحديث فيمكن أن يأخذ المنهج المقارن عدة أشكال، منها:

١. المقارنة بين عالمين في تناولهما لقضية ما، مثل:

"الإمامين العيني وابن حجر؛ دراسة مقارنة لمنهجهما في شرح صحيح البخاري: الدكتور جاد الرب أمين عبد المجيد".

٢. المقارنة بين كتابين سواء لنفس المؤلف أو غيره، مثل:

بحث محكم: "موازنة بين كتابي الإمام الذهبي (ذكر أسماء من تكلم فيه وهو موثق) وكتاب (الرواة الثقات المتكلم فيهم بما لا يوجب ردهم)".

٣. مقارنة مناهج المحدثين بغيرها من المناهج التي لا لها صلة بعلم الحديث، مثل:

بحث محكم: "منهج النقد عند المحدثين مقارنةً بالميثودولوجيا الغربية".

٤. المقارنة بين مجموعة من علماء الحديث في قضية معينة، مثل:

بحث محكم: "منهج أصحاب الكتب الستة في ذكر فضائل الصحابة رضي الله عنهم".

الخاتمة (النتائج والتوصيات)

أولاً: النتائج

بعد الانتهاء من البحث يمكن إجمال النتائج التي توصلنا إليها فيما يلي:

١. الابتكار في اللغة له عدة معانٍ، منها: الإسراع، والتبكير والسبق، وأول الشيء.
٢. لم أجد - فيما اطلعتُ - من عرّف مصلح (الابتكار الحديثي)، وقد عرّفته بأنه: " إعمال الفكر من خلال الاستفادة من الوسائل العلمية المعينة للوصول إلى موضوع حديثي صالح ولم يُسبق إليه "

٣. هناك بعض الأصول والأساسيات التي لا ينبغي جهلها، وهي: أصول البحث العلمي ومناهجه، وأصول الفن أو التخصص، ومعرفة دواعي التصنيف.

٤. هناك عدة طرق للوصول إلى الأفكار البحثية، منها: مطالعة خاتمة الرسائل الأكاديمية والمقالات العلمية المحكمة وتوصياتها، وحضور المؤتمرات والندوات العلمية ومتابعة توصياتها، والمحاضرات العامة واللقاءات العلمية المتخصصة، والبحث في المسلمات أو فيما بُحِثَ من قبل، واستشارة المتخصصين من أساتذة الجامعات أو طلبة العلم وأصحاب الخبرة، والأفكار التي تُطرح في المواد التحضيرية، وكثرة القراءة والمطالعة في الكتب المتخصصة والأبحاث والرسائل العلمية، ومتابعة ما كُتب من قبل ومحاولة العمل على منواله إن أمكن، وتطوير بحث كُتب مراحل السنة التحضيرية، والبحث في مواقع البحث على الشبكة العنكبوتية والمنتديات العلمية المتخصصة، وتكملة فكرة بحثية بدأها الباحث في مرحلة سابقة.

٥. هناك عدة أمور تعين على اقتناص الموضوعات البحثية، منها: القراءة النقدية، ومتابعة الشبهات التي تُطرح وتطوراتها، وقراءة الموضوعات البحثية لتخصصات مختلفة، وسؤال أهل العلم والتخصص، واستشراف المستقبل، وطرح النقاشات والأسئلة والاستشكالات، وتحديد مجال البحث وجمع موضوعات الدراسات السابقة، والبحث عن الموضوعات في غير مظاهرها، ومتابعة أحداث الساحة والنوازل وما يستجد من الأحداث، وكتابة واستعراض قوائم من العناوين المقترحة.

٦. هناك عدة وسائل وتطبيقات يمكن للباحث القيام بها لتساعده على الوصول للفكرة البحثية، منها: دمج التخصصات المختلفة مع علوم الحديث، والبحث بطريقة الموضوعات المستحسنة، مع استبدال بعض الألفاظ، والبحث بطريقة فهارس الموضوعات.

٧. من الأمور التي تسهل على الباحث ولا بد أن يتقنها (تخصيص العام وتعميم الخاص)، وتحديد البحث ما أمكن بمدة زمنية أو عالم ما أو كتاب ما - مثلاً -، فهذه الأمور تيسّر الكتابة على الباحث.

٨. يُعد منهج البحث المقارن أحد الأساليب البحثية الجيدة، والتي تمكن الباحث من عمل مقارنة بين عالمين في تناولهما لقضية ما، أو المقارنة بين كتابين سواء لنفس المؤلف أو غيره، أو مقارنة مناهج المحدثين بغيرها، والمقارنة بين مجموعة من علماء الحديث في قضية معينة أو مصطلح ما.

ثانيًا: التوصيات

١. أوصي نفسي والباحثين بتقوى الله - عز وجل - وإخلاص النية له - سبحانه وتعالى - والتحلي بصفات الباحث التي من أهمها الإخلاص والصبر والمثابرة.
٢. الحرص على القراءة النقدية ومتابعة كل ما هو جديد في علم الحديث.
٣. الدقة في اختيار الأفكار البحثية من خلال الطرق والوسائل المعينة والصحيحة في هذا المجال.
٤. تخصيص حصص تدريبية وإشرافية - ولو كانت يسيرة - لتفعيل تعاون أساتذة الجامعات والمشرفين مع الطلاب، سواء في مرحلة اختيار الفكرة أو ما بعدها خلال مرحلة الإشراف العلمي.
٥. استغلال التطور العلمي والتقني ووسائل الاتصال استغلالاً سليماً وتوجيهها بشكل مفيد لتسهيل من عملية البحث والابتكار.
٦. ضرورة إتقان مناهج البحث العلمي وأصوله حتى يخرج البحث بشكل قوي ومفيد.
٧. تطوير مثل هذه المواد العلمية وإعدادها على شكل حقائب تدريبية محكمة تتواءم مع الوسائل والطرق التعليمية المعاصرة.

تم بحمد الله ،،،

Innovation of Research Topics Applied Study on the Sciences of Prophetic Sunnah

Majed Mohammed al-Johani
PhD student
College of Quran and Sunnah Studies
University of Islamic Sciences, Malaysia

Summary

One of the most important subjects concerning researches in all specialties and levels is the innovation of research topics. Some think that this problem is limited to students in their first stages in postgraduate studies not the senior researchers. This is wrong belief. Every researcher whether junior or senior is in continuous struggle and relentless search for a research idea. However, the difference between junior and senior researchers is that the experienced researcher has the necessary tools and skills to get a good research idea. The present research discussed this problem and laid out set of solutions and suggestions including: the necessity to provide these academic materials to researchers in the form of courses and arbitrated training portfolios and providing them in modern style suitable for current time and place.

المراجع والمصادر

١. أبو هريرة، أمانة الرواية وصدقها، الدكتور محمد عبده يماني، جريدة الشرق الأوسط، الخميس ١٠ رمضان ١٤٢٦هـ، ١٣ أكتوبر ٢٠٠٥م، العدد (٩٨١٦).
٢. الإحاطة في تاريخ غرناطة، محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الأصل، الغرناطي الأندلسي، أبو عبد الله، الشهير بلسان الدين ابن الخطيب (المتوفى ٧٧٦هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.
٣. الأربعون النووية، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، عن به: قصي الحلاق، أنور الشيعي، دار المنهاج للنشر والتوزيع، لبنان - بيروت، ط الأولى ١٤٣٠ - ٢٠٠٩م.
٤. تاريخ ابن خلدون المسمى، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (المتوفى ٨٠٨هـ)، تحقيق خليل شحادة، دار الفكر - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٥. تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى ٩١١هـ)، حققه: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار طيبة - الرياض، (بدون رقم الطبعة وسنتها).
٦. التصنيف في السنة النبوية، خلدون بن محمد سليم الأحمد، الناشر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
٧. تقييد العلم، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى ٤٦٣هـ)، دار إحياء السنة النبوية - بيروت، (بدون رقم الطبعة وسنتها).
٨. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى ٤٦٣هـ)، تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي، ومحمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب، ١٣٨٧هـ.
٩. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور (المتوفى ٣٧٠هـ)، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
١٠. جامع بيان العلم وفضله، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى ٤٦٣هـ)، تحقيق أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
١١. ذيل طبقات الحنابلة، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، تحقيق د. عبد الرحمن العثيمين، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.
١٢. سنن ابن ماجه، ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجه اسم أبيه يزيد (المتوفى ٢٧٣هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي، (بدون رقم الطبعة وسنتها).

١٣. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (المتوفى ٢٧٥هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية - بيروت، (بدون رقم الطبعة وستنها).
١٤. سنن الترمذي - الجامع الكبير، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى ٢٧٩هـ)، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ١٩٩٨م.
١٥. صحيح البخاري المسمى (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه)، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
١٦. صحيح سنن أبي داود، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، ابن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى ١٤٢٠هـ)، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع - الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
١٧. صفة الصفوة، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى ٥٩٧هـ)، تحقيق أحمد بن علي، دار الحديث - القاهرة، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
١٨. صيد الخاطر، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي ابن الجوزي أبو الفرج، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
١٩. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ.
٢٠. القراءة المثمرة مفاهيم وآليات، الدكتور عبد الكريم بكار، دار القلم - دمشق والدار الشامية - بيروت، الطبعة السادسة، ٢٠٠٨م.
٢١. لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى ٧١١هـ)، دار صادر - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.
٢٢. متى يستيقظ الناجحون، علي الحكمي وزياد الدريس، دار مدارك للنشر، ٢٠١٥.
٢٣. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
٢٤. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى ٢٤١هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرين، إشراف الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
٢٥. معرفة أنواع علوم الحديث، ويُعرف بمقدمة ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح (المتوفى ٦٤٣هـ)، تحقيق نور الدين عتر، دار الفكر - سوريا، دار الفكر المعاصر - بيروت، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٢٦. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى ٥٩٧هـ)، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٢٧. مواقف اجتماعية من حياة الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله تعالى، محمد بن عبد الرحمن السعدي ومساعد بن عبد الله السعدي، الرياض، دار الميمان، الطبعة الثانية ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م